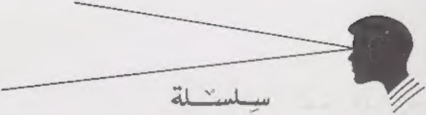
٣٠

سلسلة رجل المهام الصعبة

الفريقُ الجهنمي



الفريقُ الجُهنّي



سِلسلة
رَجُل المَهام الصَّعبة

المغامرة العشرون

الفريقُ الجُهنّمي

تأليف : مَجدي صَابر

دار الجيل
بيروت

الطبعة الأولى
١٩٩٣

دار الجيل
للطبع والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

ص.ب ٨٧٣٧ - برقياً : دار جيلاب - تلكس : ٤٢٦٤١ دار جيل

رجل المهام الصعبة:

إنها سلسلة جديدة حافلة بالاثارة والمغامرة نقدّمها لك أيها القارئ العربي الكريم..

ففي ظل عالم بات يعتمد كثيراً على أجهزة مخابراته ووسائلها السرية لتحقيق أهدافه.. وفي ظل ما يسمى بحرب المخابرات السرية.. وفي ظل أقصى درجة من المهارة والذكاء يبرز اسم « ماجد شريف ».. فهو طراز جديد فريد لا مثيل له في عالم المخابرات..

وإذا كان « جيمس بوند » هو أسطورة الغرب في دنيا المخابرات.. فإن « ماجد شريف » هو الأسطورة القادمة من الشرق.. من الوطن العربي الكبير..

فهو الرجل الذي لا يقهر.. والذي يدخره رؤساؤه للحظة الأخيرة.. حيث لا يكون هناك حل آخر غير « ماجد شريف ».. ولم يحدث أن خيّب « ماجد » أمل رؤسائه فيه أبداً..

« اغتيال »

اعتاد جواد شكري القيام بذلك الروتين ليحافظ على رشاقته.. كان قد تجاوز الخمسين بسنوات قليلة، ولكنه بالرغم من ذلك كان قادرا على الجري حول مضمار حديقة النادي الكبيرة ست مرات كل صباح، يقطع فيها مسافة لا تقل عن عشرة كيلومترات.

وبعدها كان يقطع حمام السباحة العريض سباحة جيئة وذهابا عشرات المرات وهو يضرب الماء بقوة، مهما كان الطقس باردا، وخاصة في الصباح الباكر لشتاء لندن الطويل الثقيل.

وعندما ينتصف النهار يكون جواد شكري قد أتم تمارين اللياقة البدنية، التي حافظت على مرونته الفائقة واحتفاظه بشبابه الدائم برغم تجاوزه الخمسين..

وربما كان جواد يفعل ذلك بحكم التعود على أشياء قضى سنوات طويلة يمارسها.. وربما لأنه لم يشأ أن ينتهي ذلك الماضي الذي أحبه.. حتى وإن كان قرار الاستغناء عن خدماته قد صدر منذ بضعة أشهر مع رسالة شكر عميقة ومكافأة ضخمة في البنك.. ومسدس للحماية الخاصة غير مرخص لاستعماله إلا في حالة الدفاع عن النفس فقط.

ومن قبل أشهر قليلة كان من حقه استخدام ذلك المسدس في عمله بالكيفية التي يراها كفيلة بألا تثير أزمة ديبلوماسية بين حكومة بلاده وبين الحكومة الإنجليزية أو بطريقة أخرى لا تكشف كونه ضابط مخابرات.. يعمل تحت ستار وظيفة مدنية في سفارة بلاده في عاصمة الضباب.

والآن لم يعد ذلك المسدس غير ذكرى.. وهو يرفض حتى أن يحمله معه إلى أي مكان.. كأنه حينما تسلم قرار إحالته للمعاش قاطع كل ما يذكره بعمله السرى إلى الأبد.. حتى وسيلة حمايته الشخصية.

وربما كان جواد غاضبا لأنهم استغنوا عنه هكذا مثل « البغال الحكومية »، التي إذا ما كبرت سنها وقلت فائدتها

يطلقون عليها الرصاص ليتخلصوا منها بدلا من إطعامها والانفاق عليها دون فائدة منها.

وهم قد عاملوه بنفس الطريقة.. بالرغم من الخدمات العظيمة التي أداها لبلاده.. وهو كان يعرف أن تلك هي القواعد في عمله وأن استثناء ما لم يتم بشأنه.. بالعكس كانت مكافأته أكبر من المعتاد وخطاب التقاعد أكثر حرارة.. فلماذا الغضب ؟.

لعله كان ينتظر منصبا قياديا في بلاده.. أو حتى يطمع في ترأس جهاز مخابرات بلاده.. أو حتى إدارة عملياتها الخارجية.. ولكن شيئاً من ذلك لم يتحقق.

فللنجاح أعداؤه.. وهكذا تم التخلص منه سريعا دون ضجة.. في الوقت الذي صار جواد يشعر فيه أنه أفضل من أي وقت مضى !.

وأنهى حمامه البارد فاستعاد كامل لياقته وبشيء كبير من الانتعاش.. وراح يجفف جسده ويرتدي ملابسه استعدادا لتناول إفطاره الشهي في مطعم النادي الفاخر.. الذي لا يرتاده غير الارستقراطيين وأثرياء « لندن ».. والذي أتاحت

له الشركة الضخمة التي أقامها بعد تقاعده الانضمام إلى قائمة أصحاب الملايين في عاصمة الضباب.. بتسهيلات من بلاده.

وهو لم يكن يعتني كثيراً بالمال.. فلم تكن له زوجة أو أولاد ليهتم بشأنهم.. فوقته وعمله لم يسمحا له بأن يفكر في الزواج أو الاهتمام بأي شيء آخر.

وغادر الحمام وهو في قمة تيقظه ونشاطه.. ولكن وقبل أن يدلف خارجا صوب المطعم الأنيق، جاء صوت من الخلف بإنجليزية سليمة يقول : مستر جواد شكري ؟.

التفت جواد إلى الخلف عاقدا حاجبيه، ورمق متحدثه الذي كان في كامل ملابسه، وقد أضفت عليه نظارته السوداء العريضة والقبعة الكبيرة والمعطف الثقيل بعض الغموض والإثارة، وسأل جواد محدثه: ماذا تريد ؟.

لم ينطق ذو المعطف الثقيل بشيء، بل تحركت أصابعه لتخرج شيئاً من جيب معطفه الواسع وصوبه إلى صدر جواد..

كان مسدساً مثبتاً به كاتم للصوت من عيار ٣٨ م ويعرفه رجل المخابرات السابق حق المعرفة، ويعرف ماذا

يمكن أن تفعل طلقة واحدة منه بمن تصيبه.

وقبل أن يفكر جواد في أن يفعل شيئاً ما انطلقت ثلاث رصاصات في صوت خافت، واستقرت كلها في مكان ما بصدر جواد.. مكان القلب تماماً فتفجرت الدماء غزيرة منه.

وسقط الجسد الذي كان ينبض نشاطا وحيوية منذ لحظات ممددا على الأرض غارقا في بركة من الدماء دون أن يطلق صاحبه حتى آهة ألم.

واستدار ذو المعطف الثقيل ليغادر المكان، وقد أحكم إغلاق ياقة معطفه حول رقبته خشية من هواء « لندن » البارد ومطرها الغزير.

• • •

راقب سلمان الريدي المشهد المثير في نشرة أخبار المساء.. والجسد الممدد في أرضية الحمام الغارق في بركة من الدماء.. والمذيع يقول بأن الشرطة لا تزال تحقق في الحادث وليس لديها أي تفسير عن دافع قتل رجل الأعمال العربي، وأن سفارة بلاده طلبت سرعة الانتهاء من التحقيقات

وشحن الجثة إلى بلادها.. دون أن يساعد التحقيق بأي شيء يفيده.

أغلق سلمان التليفزيون ووضع رأسه بين كفيه في تفكير عميق. كان صديقا لجواد وعلى صلة جيدة به سنوات مضت.. باعتبارهما عربيين يعملان في عاصمة الضباب في مهمة واحدة. وإن اختلفت بلد كل منهما ولقد أديا مهمة أو مهمتين معا منذ سنوات بعيدة

وفاجأته الجريمة وأحس بحزن يعتصر قلبه. وتساءل في غضب: هل كان قتل جواد بسبب دافع شخصي أم باعتباره رجل مخابرات.. سابق؟.

تحركت فيه غريزة الحذر.. كانت الجريمة معقدة في مهارة ودقة دون أي أثر للقاتل.. كأن في ذلك إعلانا خاصا عن أن الفاعل.. ينتمي إلى نفس المهنة.

فالقواعد التي يعمل بها نفس الرجال في نفس المهنة واحدة..

وجاء صوت زوجته من الخلف متسائلة: هل أنهيت ارتداء ملابسك يا سلمان.. لم يتبق على موعد حفل العشاء

الذي دعينا إليه غير ربع ساعة فقط.

نهض سلمان في تقصيب قائلاً : لقد نهضت

وظهرت زوجته في ملابس محتشمة، وتأملت وجه زوجها الشاحب قليلاً وسألته في قلق . ماذا حدث ؟.

ولكنه أجابها مقطبا : لا شيء

واستدار كأنه يحاول أن يخفي مشاعره الحقيقية وهو يجيبها : ألا يمكننا أن نعتذر عن الذهاب إلى دعوة العشاء هذا المساء فإنني متعب قليلاً.

فأجابته الزوجة مستنكرة : سوف يغضب أصحاب الدعوة خاصة وقد أجريت اتصالا هاتفيا بهم لأعلن حضورنا.

كما أنك كنت في أشد الحماس للذهاب إلى ذلك الحفل، فما الذي حدث خلال تلك الدقائق القليلة ؟.

نطق سلمان بغم مزموم قائلاً : حسناً سنذهب ولكننا لن نأخذ الأطفال معنا.

— ولكن..

— لن نأخذ الأطفال معنا !.

كررها سلمان بصوت حاد. وأدركت الزوجة أنه لن يتراجع عن قراره الذي رأت أن لا تفسير له.

وهي قد اعتادت مثل تلك القرارات المفاجئة لزوجها الذي كان كثيرا ما يتغيب عن المنزل أو يغيب في سفريات طويلة دون أن يمنحها تفسيرا شافيا. وحتى الكثير من تصرفاته كانت تراها مثيرة للدهشة والغرابة

بل حتى مجرد الاتصال به في مقر عمله بدا كأنه ممنوعا عليها وهي قد اعتادت الصيغة برغم دهشتها واحترمت خصوصيات زوجها..

غير أنه منذ بضعة أسابيع فقط صار أكثر عصبية وحدة وشعرت أنه صار مثل الأسد الحبيس في عرينه كأنه صار في سجن يرغب في تحطيم قيوده.

بالتحديد صار سلوكه خشنا وعصبيا منذ أحيل إلى التقاعد المبكر من عمله وبالرغم من العروض الكثيرة التي تلقاها للعمل في أماكن خاصة أو المشاركة في مشاريع ناجحة فقد رفض ذلك، مكررا قوله بأنه تعب كثيرا ويريد

أن يستريح، ويتمتع بحنانه أو ما تبقى منه

وهي كانت تشعر أن في حياة زوجها سر ..

وذات يوم لمحت طرف مسدسه الذي كان يخفيه تحت ملابسه. ولحظتها أدركت أو خمنت طبيعة عمله. ولكنها كتمت لسانها ولم تنطق شيء.. وباتت تتوقع عدم عودة زوجها إلى الأبد في كل صباح عندما يغادر منزله إلى عمله السري لحافل بالمخاطر

وبعدما أعلن اعترافه أصابتها رجة عنيفة. وخططت بعودة مع زوجها إلى بلدهما.. بعد أن ينتهي بعد الدراسي أطفالهما في مدارس الإنجليزية.

خطا سلمان وزوجته إلى مقعد بناية ليهبطا لأسفل ولمحت الزوجة زوجها يتحسس شيئا تحت سترته بلمسته بحركة غريزية، فأدركت أنه يحمل معه سلاحه الشخصي. وتساءلت في نفسها متوترة، ما الذي يجعل زوجها قلقا إلى هذا الحد تلك الليلة ؟.

وخطوا خارجين من البناية صوب سيارتهما الفاخرة.. وجلس الاثنان في المقدمة دون أن يتبادلا كلمة واحدة

وكل منهما غارق في أفكاره الخاصة

وأخرج سلمان مفتاح سيارته من جيبه ووضعه في فتحة التشغيل وعيناه تراقبان ما حوله بنظرة صارمة حذرة.. دون أن يلمح الوجه الأسود وصاحبه المفتول العضلات الذي وقف يراقب السيارة من خلف زجاج نافذة إحدى شقق البناية المجاورة.

وما كادت أصابع سلمان تدير مفتاح المحرك، حتى دوى انفجار هائل، وتحولت السيارة إلى كتلة من الجحيم المشتعل.

* * *

تقلب فتحي الغسال فوق فراشه..

جافاه النوم طوال الليل وظل مسهداً لا يكاد يصدق الخطاب الذي تسلمه بعد ذلك الاستدعاء العاجل من السفارة المصرية.

كان خطاباً بأنه قد أحيل إلى المعاش من عمله في إدارة المخابرات العامة بسبب هبوط معدل أدائه في الفترة

الأخيرة.. وأن له مطلق الحرية في البقاء والعمل في شركة الطيران المصرية التي كان يتحدها كغطاء لعمله الحقيقي في لندن.. أو أن يجنو إلى الراحة متمتعاً بالمعاش الكبير ومكافأة نهاية الخدمة الضخمة

لم يكن الاستدعاء مفاجئا لفتحي.. ولكنه لم يتوقع أبدا أن يأتي على تلك السرعة وبهذه الطريقة، دون أن يقابله شخص ما ويستمع إليه.

كان يعشق مهنة الخطر ويكاد لا يعترف أن التقدم في السن كان يأخذ منه كثيرا من مهاراته.. وحتى دقته في التصويب نقصت إلى النصف في الأشهر الأخيرة.

وانتصب في فراشه بوجه مقطب حزين.. وراقب ضوء الصباح المتسلل من بين الستائر الكثيفة المسدلة على النافذة العريضة في حجرته.

وحتى تلك اللحظة لم يكن قد اتخذ قرارا.. بالبقاء في لندن أو مغادرتها.. أو البحث عن عمل آخر

ثم تذكر شيئا فنهض سريعا.. واتجه إلى حجرة طفله الذي كان غارقا في نومه فوق فراشه الصغير. وأيقظه برفق

وهو يقول له: هيا يا عزيزي ستتأخر عن المدرسة

لم يشأ فتحي أن يتزوج بعد وفاة والدة طفله. ومع دخله كان يتمنى الإحالة إلى المعاش ليستطيع تعليمه

ولعلهم هناك في القاهرة تحدثوا هذا العزيز رحمه بصغره لديّ ما كانت تربية الإنجليزية قادرة على رعايته على الوجه الأكمل.

أنهى الطفل ارتداء ملابسه، فقال له والده باسما: سوف أصحبك إلى المدرسة بنفسي من اليوم

فتعلق الطفل برقبة والده في سعادة كشفت عن مدى تعلقه به.

وفجأة انفتح باب الشقة في عنف وظهر في مدخله ثلاثة رجال أحدهم كان له وجه أحمر تحجبه نظارة سوداء عريضة وقبعة عالية ومعطف ثقيل والثاني كان عملاقا أسود اللون مفتول العضلات في ملابس رياضية خفيفة وثالث كانت له ملامح تعلب وبصرات حادة

حدق فتحي في الرجال الثلاثة في دهشة، وقد عمل

ذهنه في سرعة خاطفة لتفسير ما يحدث أمامه، وغمغم من بين أسنانه في غضب حاد قائلاً من أنتم.. وكيف تقتحمون مسكني بمثل هذه الطريقة

ومن أين حصلتم على مفاتيح شقتي ؟.

فأجابه ذو الوجه الأحمر قائلاً ليس لدينا غير إجابة وحيدة لأسئلتك.

وصوب مسدسه تجاه فتحي مضيفاً . وهذه هي الإجابة

وانطلقت الرصاصة المكتومة، ولكن وفي نفس اللحظة دفع فتحي بطرفه الذي سقط أسفل فراشه الصغير، وتدحرج فتحي مبتعداً في سرعة واحتراف، فطاشت الرصاصة واستقرت في الحائط إلى الخلف، وطارت قدم فتحي لتطيح بالمسدس من يد صاحبه.

ولكن قبضة الأسود العملاق هوت فوق وجه فتحي في لكمة عنيفة أطاحت به إلى الوراء. وشعر بالدنيا تميد أمام عينيه وقفز الزنجي في الهواء مصوباً ضربة أخرى من قدمه أصابت فتحي في معدته وجعلته يشعر كأنها تمزقت. وأنه موشك على فقدان الوعي.. ولكن وقبل أن

بفقد ما تبقى له من وعي امتدت يده في حركة خاطفة إلى جيب سرواله. ولكن، وقبل أن يتمكن فتحي حتى من إخراج مسدسه الصغير طارت سكين رفيعة حادة النصل من يد الصبي فاستقرت في قلب فتحي..

وشهق فتحي وجحظت عيناه. وارتعشت شفتاه كأنه يريد أن يقول شيئاً أخيرا ولكن الوقت لم يتسع له لينطق بشيء. ثم تهاوى على الأرض غارقاً في دمائه

وصرخ الطفل الصغير وزحف خارجاً من تحت فراشه، وألقى نفسه فوق والده باكيا وهو يحتضنه

وانحنى ذو الوجه الأحمر على الأرض والتقط مسدسه الكاتم للصوت ثم صوبه إلى رأس الطفل الصغير

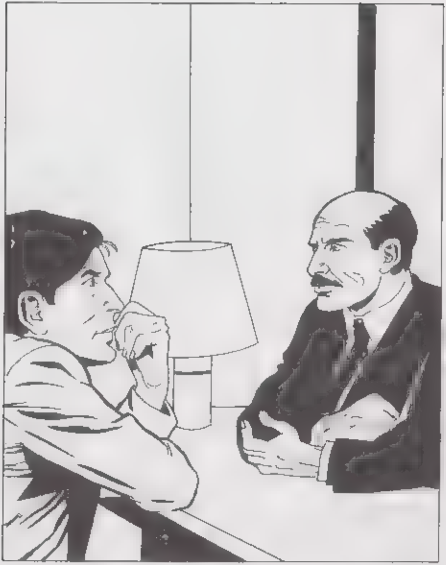
وأطلق طلقة واحدة دون أن تطرف عيناه!

« الفريق الجهنمي »

استمع ماجد إلى كل ما قاله رئيسه في صمت وتقضيب وعيناه تفصحان عن غضب حبيس وأخرج السيد « م » بضع صور حديثة مدها إلى رقم (٧٠٠) قائلا . هذه هي صور رجال المخابرات العرب الخمسة.. الذين اغتيلوا حتى الآن في قلب لندن. ومن يدري كم سيصبح عددهم بعد أسبوع أو اثنين.

تأمل ماجد الصور صامتا، وأعادها إلى رئيسه قائلا : من الواضح أن كل رجال المخابرات العرب في لندن والذين انتهى عملهم الرسمي هناك يتعرضون لحملة إبادة.

أومأ « م » برأسه في تقطيب قائلا : هذا صحيح تماما.. وبالرغم من حذر الضحيتين الرابعة والخامسة بعد أن قامت كل أجهزة المخابرات العربية بتحذير رجالها، الا أنه قد



وقعت حوادث اغتيالهما وراح ضحيته رجلان من أفضل رجال المخابرات العرب السابقين. مع كل افراد عائلتيهما.

كتبني وجه ماجد بالغضب وقال: إنها عملية انتقامية دون شك

ه.ه.: هذا صحيح. ومن الواضح أن من فعل ذلك يمارس خطة جهنمية لها عدة أهداف: أولها التخلص من بعض أفضل رجال المخابرات العرب في الغرب، وثانيا إخافة كل المشتغلين في هذا المجال، حتى وإن لم يحالوا إلى المعاش لأن أوانهم قريب. وثالثا دفع رجال الشرطة الإنجليزية إلى التحقيق في حوادث الاغتيال لتكتشف دون شك أن هؤلاء القتلى كانوا تابعين لأجهزة مخابرات عربية وأنهم نفذوا عمليات عديدة لصالح بلادهم، وهو ما يهدد بكشف هذه العمليات ونشاط المخابرات العربية كلها في أوربا، لأن لندن محطة رئيسية ومنها تتفرع كافة شبكات المخابرات العربية في الغرب.

ماجد: لقد فاق هؤلاء القتلة بعضهم في ذكاء ومهارة.

ه.ه.: دون شك. ونحن لا نستطيع غير الاعتراف

بذلك . ومن المؤكد لنا أن هناك جهاز مخابرات معاديا يقف خلف هذه العمليات وأنه يحرك الأمور من بعيد لكن لا يظهر في الصورة.

ماجد : إذن فهناك جهة أخرى تقوم بتنفيذ هذا العمل القذر ؟.

« م » : هذا صحيح تماما.. فهناك فريق من القتلة هو الذي كان بمثابة مخلب القط لهذه العمليات . والذي لا شك فيه أنه يخطط لمزيد من حوادث الاغتيال ما لم نتدخل في الخط ونوقف هذه الاغتيالات.

وأضاف « م » وهو يمد رأسه للأمام كأنه يدلي بسر : إن هذا الفريق المكلف بعمليات القتل يسمونه « الفريق الجهنمي » !.

راقب ماجد رئيسه في صمت وإنصات دون أن تختلج عضلة واحدة في وجهه. وواصل « م » قائلاً . إنه فريق من المرتزقة ممن تم جمعهم من كل شتات العالم.. فبعضهم كان يحارب في أفغانستان إلى جوار قوات الاتحاد السوفياتي وبعضهم الآخر حارب في تشاد أو في الفلبين لصالح بعض

الجهات المتصارعة هناك.. وبعد أن انتهت كل هذه الحروب صار هؤلاء المرتزقة بلا عمل. فجاء رجل وسيط وقام بضم شمل ما يزيد عن خمسين فرداً من هؤلاء المرتزقة وصنع منهم هذا الفريق الجهنمي الذي يدين بالولاء الكامل لرئيسه وعلى استعداد لتنفيذ كل أوامره مهما كانت

تساءل ماجد مقطباً وهذا الرئيس.. من يكون ؟.

زفر « م » كأنه يطلق عنقاً عن أنفاسه مجيباً : إنه الكولونيل السابق . « سيرجي فيرافيتش ».

ماجد . هل هو رجل مخابرات روسي ؟.

« م » : كان هذا قبل انقسام الاتحاد السوفياتي.. وكان سيرجي من أسوأ رجال مخابراته وأكثرهم دموية في تاريخه، وبعد الانقسام تمت محاكمة هذا الرجل على ارتكابه للعديد من جرائم القتل ضد مواطنيه فكان أن قتل حارسه وهرب إلى أوروبا متنكراً في هيئة جديدة وإسم مختلف.. وافتتح مع رجاله من المرتزقة شركة وهمية لتصدير والاستيراد في « لندن ».. والقليلون هم الذين يدركون حقيقته وسر عمله.. ولكن هذا الرجل من المهارة هو ورجاله بحيث

بهم لم يتركوا خلفهم أي دليل.. كما أن أغلبهم قاموا بعمليات تجميل تخفي ملامحهم الحقيقية ومهمة « سيرجي ».. وبذلك سيصعب التعرف عليهم أو إثبات شخصياتهم الحقيقية.

ماجد : إن هذا الكولونيل الروسي يمتلك عقلا جهنميا بالفعل.

أضاف « م » في حدة : وسوف ننسف هذا العقل قريبا.. انتقاما لكل ضحايا هذا المجرم.. والأبرياء من عائلاتهم الذين اغتيلوا غدرا وإنني اعتمد عليك في ذلك تماما يا رقم (٧٠٠).

ماجد : ثق بذلك يا سيدي ولكن من أين سأبدأ مهمتي في لندن ؟.

أجابه « م » في صوت عميق : سوف أخبرك بذلك حالا !.

تقع قلعة اللورد اسماعيل في أطراف لندن فوق ربوة عالية.. وسط غابة من الأشجار الكثيفة ومزارع كبيرة

ويرجع تاريخها إلى ثلاثة قرون ماضية. والصورة الأولى إنبها تدل على مدى الجهد الذي بذل في إنشائها على مساحة تزيد على خمسة فدادين كأنها من قلاع العصور الوسطى.. والتي عمرت بالدهاليز والسراديب وأبراج الحراسة..

وكان قد بناها رجل ثري هو اللورد « كراوفورد » أراد أن يعزل الناس جميعا لانهماكه في بعض تجاربه العلمية التي كان مولعا بها.. ولكن كلها فشلت مما أصاب اللورد بعصاب عارم وجنون، كان من نصيب خدمه، فراح يقتلهم واحد وراء الآخر ويدفنهم في حدائق القلعة الكثيرة حتى كشفه خادم تمكن من الهرب في اللحظة الأخيرة وبعدها جاءت الشرطة لتكتشف أن اللورد قد انتحر بقطع شرايين يده.. وأن حديقة القلعة تكتظ بالهياكل العظمية لضحاياه.

ومن وقتها خشى الناس مجرد الاقتراب من قلعة اللورد، وأطلقوا عليه اسم اللورد السفاح وقيل الكثير ونسجت الأساطير عن قلعة اللورد السفاح، وعن ضحاياه الذين تظهر أشباحهم في أفنية وأبراج القلعة . وحتى ورثة اللورد السفاح

حشوا من الإقامة في القلعة وتركوها خرابا يعق فوقها البوم.. دون أن يجرءوا على الاقتراب منها أو حتى هدمها.. وبالطبع فلم يكن هناك مشترٍ مجنون يمكنه أن يغامر بشراء مثل تلك القلعة بعشرات الملايين.. وهي تحمل بذلك الماضي المرعب.

لذلك وعندما تقدم مشترٍ وحيد إلى أحفاد اللورد السفاح يعرض لشراء تلك القلعة بمبلغ بخس لا يزيد عن خمسة ملايين جنيه، وافق الورثة على الفور واعتبروها صفقة طيبة بالرغم من أن ثمن الأرض وحدها كان يزيد عن ضعف ذلك المبلغ. ولم يكن مشتري القلعة غير شخص وحيد.. الكولونيل « سيرجي فيرافيتش » !!

راقب الكولونيل تدريبات رجاله من شرفة أحد أبراج القلعة.. وقد اشتبكوا مع بعضهم البعض في تدريبات عنيفة على حين راح البعض الآخر يتدربون على إطلاق الرصاص ورشق السكاكين وهز رأسه في رضى ثم التفت إلى مساعده ذي الوجه الأحمر والنظارة السوداء العريضة وقال له : لقد كانت فكرة شراء هذه القلعة رائعة يا أدولف.

هز المساعد رأسه قائلا : معك حق يا سيدي . فموقعها بالقرب من قلب لندن يتيح لنا سرعة الحركة وتنفيذ مهماتنا في أقصر وقت، ثم العوده إليها والإختفاء عن الأنظار.. كما أنها تتيح لرجالنا التدريب في حرية وعلى مساحة واسعة دون أن يخشى عيون الفضوليين أو رجال الشرطه.. فالجميع يخشون الاقتراب من هذه القلعه بسبب سمعتها السيئة وقصص الأشباح التي تحيط بها.

قهقه الكونويل في سخريه قائلا : أي أشباح هؤلاء الأغبياء. فنحن لم نجد غير بعض الخفافيش والفئران الكبيرة التي كانت تعشش في هذا المكان.. وتكفلت رصاصاتنا بها تماما.

وقطب حاجبيه متسائلا : هل أنتم مستعدون لمهمة الليلة ؟.

أجابه أدولف : نعم يا سيدي، وقد حددنا الموقع والتوقيت بدقة. فمهمتنا لم نعد تحتمل أي خطأ ولو بسيطاً بعد أن تنبه العرب إلى حقيقة ما يحدث لرجال مخابراتهم السابقين وزودوهم بالأسلحة والحراسة الضخمة ليل نهار.

وتصق في الأرض وقد التمعت عيناه بسخرية قاسية وهو يضيف : ولكننا قبلنا التحدي، ومن أجل ذلك سيؤدي مهمة مزدوجة لبيلة. فقتل اثنين وليس شخص واحد. فقد درس الأماكن والأشخاص جيدا وعرفنا كل الثغرات ونقاط ضعفها

تألق عينا نكولوبيل سيرجي وهو يقول : رائع.. والشرطة الإنجليزية ؟.

أدولف : لقد بدأوا في إعداد ملف ضخم عن رجال المخابرات الفنية، وقد بدأت تتكشف لهم أسرار كثيرة عن عمل هؤلاء الرجال السابق ومهماتهم. وعن قريب سوف ينكشف كل النشاط السري العربي في أوروبا بأكمله ويتوقف نشاطهم بالتالي.. ولن يتمكن شخص ما من الوصول إلينا أبدا فليس هناك ما يشير إلينا ولو أدنى إشارة.

هتف سيرجي في سعادة : رائع.. رائع. فهذا هو ما نرغب فيه تماما.

وتألقت عيناه أكثر وهو يضيف : وسوف يسعد أصدقاؤنا بتحقيق أهدافهم لتخلو لهم الساحة الأوروبية تماما

فيعلن رجال مخابراتهم فيها ما يريدون بعيدا عن أي وجود عربي مماثل. ولا شك أنهم يقدرون دوري جيدا وسيواصلون الدفع في سخاء.

وخرج من جيبه سيجارا أسرع أدولف بإشعاله مثل خادم مطيع، فنفث الكولونيل دخان سيجاره في الهواء وقد لمعت عيناه ببريق غريب، وتمتم بعد لحظة في صوت خفت كأنه يحدث نفسه: إن ما فشلت في تحقيقه هناك في بلادي سأفعله هنا، وستكون لي إمبراطوريتي الخاصة التي لن يجرؤ إنسان على انتزاعي منها مرة أخرى.

تساءل أدولف في دهشة: ماذا تقول يا سيدي؟

أشاح الكولونيل بيده قائلا: لا شيء.

وفجأة اندفع أحد الرجال في زيه العسكري وفي يده برقية، مدها إلى الكولونيل وهو يؤدي له التحية العسكرية قائلا: لقد تلقينا هذه البرقية الآن يا سيدي.

التقط الكولونيل البرقية وألقى عليها نظرة سريعة، ثم تجهم وجهه في غضب وحدة ورفع عينين مشتعلتين بالغضب وهو يقول: لقد علم أصدقاؤنا أن المصريين قرروا أن

يرسلوا لنا أفضل رجالهم ليقتصوا ممن قتل رجال مخابراتهم السابقين.. وأن هذا العميل المصري الذي يعتبرونه أسطورة لا تقهر في عالم المخابرات سوف يسعى إلينا مباشرة.

ضاقت عينا أدولف وراوده بعض القلق وقال : من الأفضل أن نسرع بالاتصال بأصدقائنا ليساعدونا في مواجهة هذا المصري والتخلص منه.

دق الكولونيل سيرجي حافة النافذة القريبة في عصبية قائلاً . لا.. إننا لا نستعين بأحد.. فهذه هي مهمتنا وسوف نقوم بها بأنفسنا . فقد قمنا بما هو أصعب منها آلاف المرات. وأنا شخصيا واجهت عشرات العملاء من هذا النوع ممن كانوا ينسجون الأساطير حولهم أيضا . والآن لم يعد أحد يتذكر هؤلاء الأغبياء بعد أن أنهت رصاصاتي حياتهم.

تساءل أدولف بعد لحظة : وهل ننتظر وصول هذا العميل المصري إلينا ؟.

أجابه الكولونيل في لهجة ساخرة : لا.. أنا لا أحب أن أكون في موقف الدفاع أبداً.

وتألقت عيناه أكثر وهو يضيف : سوف نؤجل عمليتي الإغتيال هذا المساء إلى ما بعد إنهاء تلك المهمة الطارئة التي ظهرت فجأة. وما أن يصل هذا المصري إلى لندن حتى نفتح عليه جحيمنا !.

وأطلق ضحكة عالية صاخبة . ضحكة سفاح مجنون.

* * *

جحيم لندن

واجه ركاب طائرة مصر للطيران مصريا عزيزا عندما غادروا مطار «هيثرو» بالعاصمة البريطانية.. وعلى الفور نشطت حركة سائقي التاكسي في المطار.. وكان في انتظار الباقين سيارات خاصة.

ووقف ماجد يتأمل منظر المطر الغزير المنهمر أمامه، ممسكاً مظلة واقية وبيده الأخرى أمسك حقيبته الصغيرة وحدها، فاقترب منه أحد السائقين قائلاً: هل تبحث عن تاكسي يا سيدي ؟.

ولكن ماجد أجابه بابتسامة عريضة: يا عزيزي إنك لا يمكن أن تحرمني من متعتي الوحيدة في هذه البلاد.

وأضاف بابتسامة أوسع: إنه السير تحت ماء المطر.

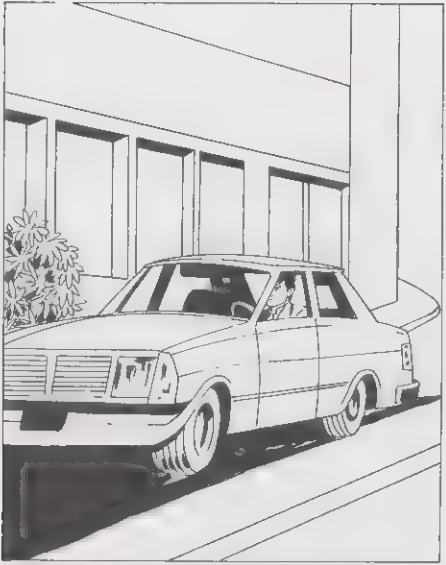
وتحرك محمد حاملاً حقيبته وسائق يحدق فيه كمن عصبه.. ثم تبادل نظرة مع مجموعة من الرجال ذوي الملامح الحادة المتجهمة داخل سيارة أمريكية سوداء عريضة كانت تنتظر على مقربة.

واقترب ماجد من سيارة زرقاء صغيرة على الرصيف الشرقي وفتح أبوابها في رفق ثم جلس إلى عجلة القيادة وشرع في إدارة محركها وتحسسه قبل الانطلاق بها

ومن داخل السيارة الأمريكية غمغم أدولف في غضب. كيف لم نكتشف أن هناك سيارة خاصة ستنتظر هذا المصري بعد أن استعددنا بتلغيم نصف سيارات تاكسي المطار تحسباً لركوبه أيًّ منها؟.

فأجابه صوت خشن من جواره: لا بأس فلا يزال أمامنا متسع من الوقت.. ومن حسن الحظ أننا استعددنا باحتياطات كثيرة.

تحركت السيارة الزرقاء الصغيرة إلى الطريق ثم انضمت إلى نقت حركة المرور على الطريق السريع. وفي خفة شرعت السيارة الأمريكية في متابعتها وعلى مسافة ظاهرة



سيارة أخرى من نفس الطراز انضمت إلى زميلتها الأولى على مسافة منها وبداخلها عدد آخر من أصحاب الوجوه القاسية بمخبئهم والأسلحة المخفاة تحت سترتهم.

ألقى ماجد نظرة في مرآة سيارته الصغيرة.. كان من السهل عليه ملاحظة السيارة المطاردة له والسيارة الأخرى التي انضمت إليها.

وقد كان ينتظر مثل ذلك الاستقبال وقد استعد له تمام الاستعداد. فارتسمت ابتسامة قاسية فوق شفتيه وهو يقول: لسوف تبدأ حفلة الألعاب قريبا.. أقرب مما يظن هؤلاء الأوغاد.

وزاد المطر فحجبت الطرقات من السيارات أو كادت وقد صار المطر كالسيل.. وزمجر «أدولف» من تحت أسنانه قائلا لقد حان الوقت لإنهاء تلك المطاردة

وفي الحال زمجرت سيارته وقد أطلق سائقها العنان لها، فاندفعت فوق الطريق المبتل مثل وحش مفترس خرج من الظلام.. واقتربت من السيارة الزرقاء الصغيرة بسرعة

وعندما صارت على المسافة المناسبة زمجر أدولف مرة أخرى: الآن.

وفي حال أخرج ركاب المقعد مدافعهم الرشاشة من تحت أقدامهم وصوبوها خارج نوافذهم

ودوت أصوات طلقات الرصاص مثل زخات المطر. وأصابت بضع رصاصات سقف السيارة الصغيرة في الأمام والتي ارتجت ربما بفعل المفاجأة، قبل أن تندفع في طريق ملتوٍ برغم المطر، وقائدها يتحكم فيها بمهارة غريبة

وطاشت معظم طلقات الرصاص والسيارة الصغيرة تتحرك في شكل بهلواني عجيب، وهتف أدولف في غضب وسخط: هذا اللعين كيف يتحكم في هذه السيارة بهذه الطريقة العجيبة ؟.

ثم صاح في رجاله: أطلقوا الرصاص على إطاراتها أو خزان الوقود لنسفها.

ولكن بعد زخة سريعة من الرصاص زمجر أحد المسلحين في الخلف قائلاً: إنها مصفحة فالرصاص لا يؤثر فيها

صاقت عيا أدولف وقب: إنها مفاجأة.. إذن فقد كان هذ الثعلب المصري بموقع مصاردتنا له واستعد لها

رمحر في رحاله: فسنستعد للاقتصاص عنه وحصره فلا نترك له سبيلاً للهرب.

فاندفعت السيارة الغريصه بكل سرعتها محاوله قطع الطريق على سيارة محمد ورسا لأجل ذلك لم يلاحظ أحد ركب السياره الأمريكية الزيت المتسرب من سيارة الصغيرة إلى أرض الطريق وصرخ قائد السياره السوداء إنني لا أكاد أستطيع التحكم في السياره فالطريق مغطى بالزيت.

صمصم أدولف في ذهول: زيت.. من أين جاء؟

وقبل أن يأتيه رد ما لمح أدولف سائق السيارة الصغيرة وهو يلقي بكره من اللهب فوق الزيت الذي غمر الطريق

وصرخ أدولف في سائق سيارته: أسرع بإيقاف السيارة أو إبعادها عن الطريق.

ولكن السائق لم يتح له أن يفعل شيئاً، فقد اندفع الزيت

المشتعل صوبه وأحاط بالسياره . وصرخ من فيها مع احتكاك الفرامل القوية..

ثم دوى انفجار هائل وتحولت السيارة إلى شظايا

شخص وحيد نجا من انفجار السيارة.. كان « أدولف » الذي ألقى بنفسه خارجها في اللحظة الأخيرة.. وشاهد بقية رفاقه وقد أطاح بهم الانفجار بعيداً دون حراك.

وغمغم في غضب وحنق: إن هذا الشيطان أبرع مما ظننا.. وأكثر استعداداً.

وأشار للسيارة الأخرى فتوقفت قريباً منه وكاد يندفع منها بعض ركابها لمساعدة زملائهم داخل السيارة الأولى ولكن أدولف أوقفهم قائلاً لا فائدة فقد احترقوا جميعاً ولن يعيشوا طويلاً هيا بنا قبل أن يسرع ذلك المصري بالفرار.

فانطلقت السيارة العريضة تزأر فوق الطريق.. والتقط أدولف جهاز لاسلكي من جواره وغمغم إلى شخص ما قائلاً إننا نتجه إلى الهدف الثاني.. فاستعد للظهور في قلب النفق خلال خمس دقائق على الأكثر.. والسيارة

المقصودة صغيرة من طراز فيات ولونها أزرق.

وأغلق أدولف جهاز اللاسلكي، وراقب الطريق بعينيه وظهر إلى مسافة أحد الأنفاق في قلب لندن وقد اندفعت السيارة تعبره بكل سرعتها . وفجأة ظهرت شاحنة ضخمة تسير في الاتجاه العكس بكل سرعتها.

وصرخ قادة صف السيارات الطويل في هلع والشاحنة الضخمة تنقض عليهم وتقطع الطريق، محطمة كل ما يصادفها من سيارات لتطيح به جانباً كأنها عب صغيرة

وأدرك ماجد على الفور أن الشاحنة الضخمة لا تقصد غيره.. وشاهدها وهي تنقض عليه مثل قطار أصابه الجنون وإطاراتها لو مسته لهشمت سيارته مثل العجين.

وتحرك ماجد بسيارته وقد أتاح له هرب صف السيارات أمامه القدرة على المناورة..

وكانت نجاته تتطلب قدراً كبيراً من المهارة فأطلق سيارته العنان وقد وقف البعض لمشاهدة ذلك المجنون الذي يوشك أن يلقى حتفه في إصرار بدلاً من أن يبادر بالفرار.

ولكن أصبع ماجد كانت فوق زناد مسدسه .. وعندما اقتربت الشاحنة من المدى المؤثر أطلق رصاصة وحيدة أصابت سائق الشاحنة في كتفه، فاختلت عجلة القيادة في يده لحظة كانت كافية لكي تندفع الشاحنة إلى حاجز النفق الخرساني وتصطدم به، فتهشمت مقدمتها وتدحرجت الشاحنة الضخمة مقلوبة على نفسها قبل أن يشتعل خزان وقودها.

وصرخ البعض من ركاب السيارات الأخرى وقفزوا هاربين تاركين سياراتهم في أماكنها دون حراك على حين اقتربت السيارة السوداء العريضة من الخلف، وشاهد ركابها ما حدث للشاحنة الضخمة فغمغم أحدهم في ذهول .. إلهي .. لقد فعلها ذلك الشيطان ثانية.

وصرخ في رجاله: أسرعوا بالقبض عليه قبل دخول سيارته

وكانت السيارة الزرقاء الصغيرة واقفة فيما يشبه الفخ وقد سدت أمامها طرق الهرب..

ففي الأمام كانت هناك الشاحنة المقلوبة المحترقة التي سدت طريق النفق، ومن الخلف كان هناك صف سيارات

عريض يعلق عليها طريق الفرار.

واندفع من داخل السيارة العريضة أربعة من المسلحين مهرولين نحو السيارة الصغيرة وما أن توقفوا أمام نوافذها، اثنان في كل جانب، حتى شرعوا في إطلاق عشرات الرصاصات من مدافعهم الرشاشة إلى قلب السيارة ودخان السيارة المحترقة يكاد يعمي الأبصار حولهم.

وعندما توقفوا عن إطلاق الرصاص أخرج أطل أحدهم داخل السيارة، ثم هتف غير مصدق : لا يوجد أحد بالداخل أين ذهب هذا الشيطان ؟

وجاءهم صوت من الخلف متسائلا في لهجة قاسية هل تبحثون عني أيها الأوغاد ؟

واستدار المسلحون الأربعة في وقت واحد.. ولكن وفي نفس اللحظة بدا وكأن صاعقة قد انقضت عليهم. فقد طارت قبضة ماجد لتصيب أولهم في أنفه وتهشمه وتلقيه فوق السيارة الصغيرة، على حين أصابت قدم ماجد صدر الثاني وشقت شفتيه وأطاحت به بعيدا. وقبل أن تمتد أصابع المسلحين الثالث والرابع إلى زنادي مدفعيهما

الرشاشين، أمسكت يدا ماجد برأسيهما ثم حطمتهما بعضهما ببعض، فتهاوى الاثنان على الأرض دون حراك.

راقب أدولف ما جرى لرجاله الأربعة فأصابه ذهول عام. وأفاق بعد لحظة صارخا في بقية رجاله: أسرعوا بقتل هذا الشيطان قبل أن يهرب.

فاندفع أربعة رجال آخرون صوب ماجد شاهرين أسلحتهم..

وبدا ماجد وحيدا بلا سلاح.. خلفه الشاحنة المحترقة وأمامه أربعة فوهات مصوبة إليه. وتراجع ماجد إلى الوراء خطوتين..

وصرخ أحد المسلحين: إنك لن تستطيع الهرب أبدا

وضغط فوق زناد مدفعه الرشاش

ولكن حركة ماجد كانت أسبق. فحركة بهلوانية وبفضل السوست القوية في حذائه قفز إلى الخلف كما لو كان يطير في الهواء، إلى مسافة لا تقل عن عشرة أمتار، ليتجاوز الجحيم المشتعل خلفه، ويسقط خلف

لنيران، ثم اندفع جاريا وأعداؤه يرمقون من خلفه بعيون واسعة عن آخرها..

وأفاقوا على صرخة أدولف وهو يعنفهم بالأعصاب ويطلب منهم مواصلة مطاردة ماجد والقبض عليه بأي ثمن.. ولكن عندما اندفعوا نحو النيران محاولين اجتيازها ليواصلوا مطاردتهم لماجد، دفعتهم لفح النيران لتتراجع إلى الوراء رغما عنهم وهم يمدون أيديهم ليحتموا بها عيونهم.. فاقتربوا من سيارة ماجد ووقفوا يستندون عليها

وفي نفس اللحظة التالية دوى انفجار آخر

وتحولت السيارة الزرقاء الصغيرة إلى كتلة من اللهب.. بعد أن انفجرت تحت قنبلة موقوتة بداخلها، فألقت بالمسلحين الأربعة على الأرض مصابين بشدة، وعاجزين حتى عن الحركة !.

خبط أدولف مقعد سيارته في غضب وحشي، وصرخ في سائق السيارة : أسرع بمطاردة هذا الشخص عبر الاتجاه العكسي.

فرأرت السيارة الأمريكية السوداء واندفعت عبر الطريق

إلى الطريق المضاد، مصفقة أنوارها الأمامية القوية وبوقها العالي، فأفسحت لها كل السيارات القادمة في الاتجاه العكسي الطريق، فانطلقت السيارة السوداء بأقصى سرعتها تعبر النفق، قبل أن تتجه إلى طريقها الأول.

وعلى مسافة قريبة شاهد أدولف ماجد وهو يعدو بكل سرعته مقتربا من سيارته بحثا عنه، فصوب إليه مدفعه الرشاش من داخل سيارته مطلقا سيلا من الرصاص.

ولكن ماجد تدحرج على الطريق مبتعدا عن الرصاص، وألقى بنفسه داخل سيارة حمراء كان محركها دائرا بعد أن تركها صاحبها للحظات ليشتري شيئا ما.

وانطلق ماجد بالسيارة بأقصى سرعتها محاذرا بها طرف النفق بوسعه خارجا منها. وأطلق أدولف دفعة رصاص من مدفعه الرشاش صوب السيارة التي استقلها ماجد، ولكن كان قد تحرك بها فطاشت الرصاصات.

وشعر أدولف بنفسه أنه في حاجة إلى شيء آخر غير الرصاص.

والتقط من حقيبة كبيرة بجواره ماسورة من الصلب



وكانت أجزاء أخرى من الصلب قد شرع أدولف في تركيبها وعيناه لا تفارقان السيارة الحمراء وراكبها

واقتربت المطاردة من كوبري لندن وقد تحول المطر إلى نهر ينهمر من السماء.. وشرعت سيارة ماجد في عبور الكوبري العتيق.. وأشار أدولف لسائقه أن يهدئ من سرعته، فأطاعه السائق حتى توقفت السيارة في مدخل الكوبري.. وتحسس أدولف مدفعه الصاروخي الذي اكتمل بين يديه

وصوب أدولف مدفعه الصاروخي بدقة وقد استقرت طلقة صاروخية في مقدمته.. ثم ضغط الزناد

وقبل أن تمر نصف ثانية أصابت القذيفة هدفها فانفجرت السيارة الحمراء مثل كرة من النيران تناثرت في كل مكان، تاركة بعد لحظات هيكل السيارة من الصلب المحترق.

راقب أدولف المشهد أمامه.. واقترب على قدميه تحت الأمطار وتوقف للحظة أمام حطام الصلب المحترق للسيارة المنفجرة.. ثم هز رأسه في رضى وابتسامة واسعة تملأ وجهه..

لقد أنهى مهمته أخيرا على خير وجه، بالرغم من كل الخسائر !!.

° °

ارتعدت شفتا الكولونيل سيرجي في غضب حاد، واستدار صوب أدولف وحاجباه لكثيفان قد تعقدا في مشهد مخيف، وهتف في صوت هادر : ماذا قلت أيها الأحمق.. هل تسبب هذا العميل المصري وحده في قتل وإصابة ثلث رجالنا ؟.

زم أدولف شفتيه في قسوة قائلا : أنت لم تر أي رجل قد صارعناه يا سيدي الكولونيل. إنه أشبه بشيطان لم أصادف مثيلا له أبدا إنه قادر ليس على قتال وخداع عشرات الرجال فقط، بل يمكنه أيضا أن يحارب فرقة كاملة وحده ويخرج منتصرا.

استدار إليه سيرجي في غضب قائلا ليس هناك رجل بمثل هذه المواصفات.

أدولف : أؤكد لك يا سيدي أنه .

قاطعه الكولونيل سيرجي في صوت أجوف: لو كان ما تقوله عن هذا العميل المصري صحيحا لما أمكننا التخلص منه في النهاية ولو أطلقت عليه صواريخ الجحيم.

قال أدولف في ثقة: ولكنني تخلصت منه في النهاية يا سيدي وأرسلته إلى الجحيم ذاته.

وأضاف بعد لحظة: وخسرنا بعض رجالنا يمكن تعويضها بسهولة بعد وقت. وأعتقد أن ما حدث بالنسبة لهذا العميل المصري والحرائق التي اشتعلت بسبب ذلك وسقوط العديد من الضحايا سوف يشعر الشرطة الإنجليزية بأن حرب مخابرات تدور في لندن بين أجهزة المخابرات العربية وجهة مجهولة. وهو ما سيدعم تحرياتهم وشكوكهم مما سينعكس في أثر سلبي على نشاط المخابرات العربية في لندن وأوروبا بأكملها.

مط الكولونيل سيرجي شفتيه قائلا: معك حق في ذلك.. فقد خدم مجيء هذا العميل المصري أهدافنا دون أن يدري.

وأضاف في لهجة شيطانية: والآن علينا تجهيز رجالنا

ليقوموا بعملهم المؤجل عند الصباح، فقد أصبحا وقت نميت قبل أن نصيد هذا الشعب المصري.

دوت صفارات سيارات الشرطة والمطافئ وهي تندفع بسرعة إلى منتصف كوبري « لندن » وتجمع الناس على حافة نهر « التايمز » ينظرون إلى السيارة المحترقة في قلب الكوبري. والتي لم تفلح المياه الغزيرة في إخمادها بسبب كثافتها.

ومن ركن هادئ بشاطئ النهر أطلت رأس من تحت الماء. وتطلع صاحبها في كل اتجاه وأطمأن إلى عدم وجود أحد في الجوار.. وصوب نظرة أخيرة تجاه بقايا السيارة المحترقة فوق الكوبري ثم هز رأسه في رضا

وسبح نحو الشاطئ وغادره إلى الطريق وهو غارق في الماء.. ثم أشار إلى تاكسي قريب اندس بداخله وهو يملي على السائق العنوان.. وبعد دقائق قليلة كان يطرق باب إحدى شقق الحصنة في قلب لندن

وفتح الباب. وعانقه صاحب الشقة القصير الممتلئ ذو

الكرش الكبير هاتفا كيف حالك يا رقم (٧٠٠) ؟

أجابه ماجد باسما : إنني لا أزال حيا كما ترى يا ماهر.

وراح ماجد يتأمل رقم (١١٣) باسما وقد تذكر آخر مهمة لهما اشتركا فيها معا. كان (١١٣) أقل بدانة وأكثر نشاطا.. وربما لولا ذلك ما استطاع إنقاذ حياة ماجد عندما غامر بحياته يلقي نفسه وسط مستودع قنابل متفجرة لإنقاذ ماجد الفاقد الوعي داخل المستودع. وبعدها صارت بين الاثنين صداقة روحية عميقة.

وتنهد ماجد وهو يتأمل (١١٣) قائلا : لقد كانت أياما لا تنسى فكيف حالك أنت ؟.

لاح قبيل من الحزن على وجه ماهر وقال : كما ترى إنني أسمن مثل عجل سيساق للذبح، وربما لأجل ذلك صار كل ما يعهدون به إلي هو المزيد من العمليات الإدارية وتقديم المساعدات لبعض عملائنا في لندن ولا شيء أكثر..

وتألقت عيناه وهو يضيف : ولعل مجيئك إلى لندن يبعث بعض النشاط في عروقي.

ربت ماجد على كتف (١١٣) قائلا : لو كان هناك

دور لك يا عزيزي فلن أتوانى في منحه لك.. ولكن مع ذلك الكرش المصطنع فأظن أن دورك في أي مهمة سيكون ذبحك فقط.

انفجر (١١٣) ضاحكا وهو يقول: إنك لا تزال تحتفظ بروحك المعنوية العالية يا رقم (٧٠٠)

وراح يتحسس ماجد في قلق، فسأله ضاحكا: هل صنعتني شبحا وتريد التأكد من أنني لا أزال حيا حقيقة

قطب ماهر حاجبيه في قلق قائلا: بل أردت التأكد من أنك تخلو من أي إصابة.

وأضاف في تساؤل ودهشة: إنني لا أكاد أصدق أنك خرجت من ذلك الصراع سيما معافى لا خدش بك

ماجد: يا عزيزي لقد تعودت على ذلك حتى مللت أمر هذا العمل، وأنا الآن أفكر في الاستقالة والبحث عن عمل آخر أكثر إثارة !.

قهقه ماهر قائلا: يا لك من رجل يا رقم (٧٠٠) !.

وجلس وهو يتساءل: أخبرني عما حدث الليلة

محسن محمد أمام المدفأة وهو يفرك يديه، وشرح لصقر على رقم (١١٣) كل ما صادفه تلك الليلة، واختتم حديثه قائلا . وعندما شاهدت في مرآة السيارة التي استوليت عليها ذلك الثعلب أدولف وهو يوقف سيارته في مدخل الكوبري أيقنت من الوسيلة التي سيستخدمها للتخلص مني، فقفزت من السيارة أثناء اندفاعها، وألقيت بنفسي في قلب النهر، وفي اللحظة التالية سمعت صوت انفجار الصاروخ الذي أطلقه أدولف بعد إصابته للسيارة واحتراقها

وعقد حاجبيه مضيفا : إني أرجو منكم البحث عن صاحب تلك السيارة المنكوبة وإرسال شيك بثمنها مع كلمة شكر.. فقد أنقذتني سيارته من مأزق

ابتسم ماهر قائلا : إنك لا تنسى شيئا . ولكن عملا مثل هذا سيثير بعض التساؤلات، ونحن قد صرنا في موضع شك ومراقبة من جهات عديدة في إنجلترا بعد تلك الحرب التي أشعلها الكولونيل سيرجي وفريقه الجهنمي ضدنا، فدعنا نقم بتعويض صاحب السيارة المحترقة بطريقتنا المناسبة كأن نجعله يفوز في سباق ما ويربح ثمن السيارة أو شيء آخر

مثل ذلك. فالتعليمات لدينا من السيد « هـ » هي تنفيذ كل ما تطلب ومساعدتك بكل الطرق الممكنة، دون أن تخاطر بكشف مهمتك.

وأضاف بعد لحظة صمت قصيرة: إني لم أكن أتوقع أن تكون الإصابات في جانب الأعداء فادحة في هذا الحد فأنت ستت من أنصار الحلول الدموية وإزهاق الأرواح بتلك الطريقة.

تقلصت أصابع ماجد وأجاب غاضبا: لا تنسى أن هؤلاء الأوغاد قتلوا نساء وأطفالا أبرياء بلا رحمة، ومن ثم فقد استحقوا العقاب بكل قسوة وبلا رحمة

غمغم ماهر: أنت على حق. فهم لا يستحقون أي رحمة.. فلنعين بالعين والسن بالسن

لم يعلق ماجد بشيء وشردت عيناه وهو يراقب ألسنة اللهب في المدفأة، وسأله رقم (١١٣) ما هي خطوتك القادمة ؟.

ماجد: سوف يستمر إشعال الصراع ضد عكوسن سيرجي ورجاله حتى أنتهى منهم جميعا

رقم (١١٣) : وما هي خطتك في ذلك . هل ستنتظر إلى أن يحاولوا اغتيال أحد رجالنا المتقاعدين مرة أخرى فتتدخل في الصورة و

قاطعه ماجد قائلا : إنني لن أنتظر خطوتهم القادمة للرد عليها، بل سأبادر بالهجوم فورا.

عقد ماهر حاجبيه في دهشة متسائلا : ماذا تعني بذلك ؟.

التمعت عينا ماجد بلهب أشد حرارة من لهيب المدفأة أمامه وأجاب : سوف أقتحم قلعة الكولونيل وأتحداه وسط رجاله.

هب رقم (١١٣) من مقعده واقفا كما لو كان قد لدغته عقرب قائلا ماذا قلت سيكون هذا نوعا من الجنون.. إنني لا أمتلك سلاحا يمكنني أن أساعدك به، ولا حتى مسدسي الشخصي فغير مسموح لي بإعارته لك.

أجابه ماجد في هدوء : لست في حاجة إلى أى سلاح فسأقتحم القلعة بيدي العاريتين، فقد أتيت إلى هذا المكان تحديا للجنون ذاته يا عزيزي !.

أراد رقم (١١٣) أن يقول شيئا ولكنه صمت على

مصض ومرت لحظة صمت ثم تساءل مقصا . وكيف ستقتحم القلعة إن مكانها فوق ربوة مرتفعة بالإضافة إلى أبراجها العالية التي لا تسمح لأي متطفل بالاقتراب منها دون كشفه. كما أن رجال الكوبويين المعيين لحراسة أسوار القلعة لن يمكن خداعهم بأي حال لمحاولة اختراق الأسوار فسيكتشفونها حتما

فأجابه ماجد ومن قال أنني سأقتحم القلعة من أسوارها ؟.

تساءل رقم (١١٣) في دهشة : وكيف ستدخلها إذن ؟.

فجاوبه ماجد بنظرة باسمة واثقة تحوي الكثير من الثقة.. والتحدي.

نظرة رجل يعرف كيف يقتحم الأخطار والمهام الصعبة مهما كانت.

قلب الخطر

صوب ماجد نظارته المقربة من فوق التل القريب نحو أسوار القلعة الصخرية التي ترتفع لأعلى ما لا يقل عن عشرين مترا. كان الوقت لا يزال مبكرا والسماء مكفهرة تغطيها سحب قاتمة ثقيلة. وقد راحت تمطر رذاذا خفيفا منذ منتصف الليل، فانكمش حراس القلعة في أماكنهم من البرودة والمطر يحتمون تحت الأسقف.

كانت الظروف مثالية تماما.. وهز ماجد رأسه في رضا ثم ألقى نظرة إلى ساعة يده.. وعندما أشار عقرب الساعة إلى التاسعة تماما حلقت بأعلى طائرة صغيرة ذات محرك واحد وقد تدلى منها حبل طويل وقد برز من كابينة قيادتها رأس رقم (١١٣) في ابتهاج.

وحومت الطائرة فوق التل، ولوح رقم (١١٣) إلى

ماجد من مكانه في مقعد القيادة، فحوله ماجد ثم تعلق بالحبل السميك وتحركت الطائرة صوب القلعة القريبة في مهارة. وزاد سقوط المطر في نفس اللحظة كأنما ليسهل لرقم (٧٠٠) مهمته.. وعندما ظهرت أسوار القلعة بأسفل على مسافة قريبة أوقف رقم (١١٣) محرك طائرته التي تهادت كطائر كبير نفض لون السحب القاتم الثقيل.. لكي لا يكتشف عنها صوت محركها والرياح الباردة تحمل الطائرة الصغيرة في مشقة.

كان رقم (١١٣) أبرع من قاد الطائرات في المخابرات المصرية وكان بإمكانه التحليق في السماء بطائرة شراعية لساعات طويلة دون أن تكون هناك نسمة هواء واحدة تحمل طائرته لأعلى..

وابتسم رقم (١١٣) في مكانه داخل الطائرة وهو يتذكر قول ماجد له في المقر المتكرر : لولا كرشك الضخم يا عزيزي لفكرت في أن نطير بطائرة شراعية. ولكني أخشى أنها لن تحتمل ثقل هذا الكرش العظيم القدر فتتهاوى به فوق أسوار القلعة تماما.

فانطلق رقم (١١٣) ضاحكا بشدة وهو يشعر بالنشاط يعود إلى عروقه.. وغمغم من داخل الطائرة لقد عادت الأيام الحميمة المثيرة مرة أخرى يا رقم (٧٠٠).. ولكن المؤسف أنه ليس مسموحا لي بالمشاركة في أي قتال وأقصى ما أمكنه في هذه الطائرات هو الصفقات المغشوشة وقنابل الدخان !!.

واقترب ماجد من سور برج القلعة العربي، وبقفزة بارعة صار فوق قمة البرج، على حين اتجهت الطائرة بعيدا عن القلعة وهي تجر خلفها الحبل الطويل، وعندما تأكد قائدها أنه صار في مأمن أعاد تشغيل محرك الطائرة ثم أسرع مبتعدا بعد أن انتهت مهمته عند ذلك الحد، وهو يتنهد في حزن وينظر إلى كرشه السمين في ألم !!

ألقى ماجد نظرة فاحصة لأسفل. كان من الواضح أن أحدا من الحراس لم يشعر بما جرى.. وحتى المرتزق المسلح المكلف بالمراقبة داخل البرج كان يغالب نومه وهو يتثاءب مقاوما إحساسا شديدا بالبرد

وفجأة برز ماجد أمامه وهو يقول له يا عزيزي إنث

في حاجة إلى بعض النوم. وسوف أساعدك على ذلك.

وكانت المساعدة التي قدمها ماجد للمرتزق هي ضربة قدمه في معدة الرجل تقوس بها وهو يعاني من الألم الشديد.. ثم تكفلت ضربة من رأس ماجد فوق رأس المرتزق لتجعله يرتطم بالحائط، فتهوى بجواره دون حراك ينعم بنوم عميق.. مؤلم!.

وسرعان ما كبل ماجد بقيده وهو يقول له: أحلاما سعيدة أيها الوغد.

وتحرك في حذر هابطا سلم البرج إلى أسفل.. وانكشفت له بأسفل قاعة صخرية واسعة علقت فوق جدرانها دروع وسيوف وأغطية حديدية للرأس.. وفي نهايتها كان هناك اثنان من المرتزقة راحا يلعبان الورق. وهتف أحدهما في زميله وهو يرى الكارت الأخير. لقد خسرت.

فاندفع زميله نحوه في غضب صائحا: بل أنت الخاسر.. فقد كنت تغش.

وتماسك الاثنان وكل منهما يصيح في الآخر بأنه الخاسر. ثم توقف الاثنان عن العراك فجأة عندما جاءهما

صوت من الخلف يقول . أؤكد لكما أنكما خسرتما معا !

التفت المزيفان في دهشة من المفاجأة . ولكن الوقت لم يتسع لهما ليكتشفا ذلك الصوت الذي انبعث فجأة فما كادا يديران وجهيهما حتى هوى ذراعان حديديتان فوق رأسيهما في صوت مكتوم، فترنح الاثنان ثم تهاويا فوق منضدة الخشبية العتيقة، وقد خسر كل منهما بالفعل نصف أسنانه، ونصف جمجمته على الأقل !

وفجأة دوى صوت ارتطام رصاصة فوق الدرع الحديدي، فالتفت ماجد بسرعة ولمح أحد المسلحين واقفا في مدخل القاعة شاهرا مسدسه. ولولا الدرع الذي كان يمسك به ماجد لاستقرت الرصاصة في صدره

ودوت رصاصتان أخريان فقفز ماجد إلى الخلف محتميا بدرعه، وفي حركة خاطفة التقط حجرا من الحائط وطوح به صوب عدوه في رمية محكمة، فترنح المسلح ثم تهاوى على الأرض وقد استقرت السكين في صدره

ولكن صوت طلقات الرصاص التي أطلقها المزيف كان كفيلا بجذب كل سكان القلعة إلى المكان، فقفز بسرعة

عبروا القاعة وقد تسبح بأحد مدفعي الحارسين الرشاش وفي اللحظة التالية علت أصوات صياح وهرولة أقدام.. وتناثرت طلقات الرصاص في كل اتجاه.

وصرخ أحدهم : لقد تسلل غريب إلى القلعة.

فأجابه آخر : هذا مستحيل.

وظهر أدولف مع رجاله شاهرين مدفعهم الرشاشة وبنظرة واحدة إلى داخل القاعة أدركوا حقيقة ما حدث، فصرخ أدولف في رجاله : اقبضوا على هذا المتسلل الذي فعل كل ذلك !.

ولكن وفي نفس اللحظة برز ماجد من الأمام شاهر مدفعه الرشاش قائلا : سوف أوفر عليكم هذه المهمة. حتى لا تبذلوا مجهودا ضائعا !.

فجمدت أصابع المرتزقة فوق أسلحتهم وهم يشاهدون فوهة السلاح المصوب إليهم.

وحدق أدولف في ماجد كأنما شاهد شبحا أمامه وغمغم قائلا : مستحيل أن تكون أنت. لقد نسفت سيارتك و ..

ولم يكمل أدولف عبارته أمام نظرة ماجد الباسمة الساخرة إلى أقصى حد. فبتر حديثه وغمغم في حقد وهو يجز على أسنانه: أيها الشيطان. لقد جئت إلى حتفك، وإن كنت قد نجوت في المرة السابقة من الموت، فإنك لن تنجو هذه المرة.

رفع ماجد حاجبيه سخرية وقال. أحقا.. إنني أخشى يا عزيزي في أنك كنت تقاتل في السابق مجموعة من النساء العجائز، تعلمت منهن الثرثرة الفارغة، ثم الهرب في الوقت المناسب تماما.

صرخ أدولف في رجاله في غضب حاد. اقضوا على هذا الشيطان الوقح.

فاندفع ثلاثة من المسلحين صوب ماجد، ولكن طلقات الرصاصات التي انطلقت من مدفعه الرشاش ألقتهم على الأرض لا يقدرون على الوقوف. وصاح ماجد في الباقين: ألا يزال يوجد هنا المزيد من الأغبياء، ممن يرغبون في مغادرة هذا المكان القذر وهم يزحفون على أيديهم، أو داخل نعوش مغلقة ؟.

وخاوية الصمت والعيون المحدقة تجاهه في كراهية عميقة، فلوح ماجد بمدفعه الرشاش في سخرية قائلا: لقد أتيت إلى هنا لتحدي رئيسكم القذر وتسليمه نفسي إلى الشرطة البريطانية ليتدلى من حبل المشنقة في النهاية، فأين هو، وهل يختبئ كالنساء أيضاً ؟!.

ودار بعينيه في الواقفين كأنه يبحث عن الكولونيل سيرجي.. ويطرف عينيه لمح الحركة السريعة من المزيرق الصيني.. في نهاية القاعة، فشاهده عندما امتدت يده سريعا إلى شيء كان يخفيه في ساعده ورشقه صوب ماجد في سرعة خاطفة.. ولولا أن تعد ماجد خطوة إلى الوراء لارتشقت سكين الصيني في رقبته..

حدث ذلك كله في لحظة خاطفة ولكنها كانت كافية لتشتيت انتباه ماجد بعض الشيء. وانتهز أدولف الفرصة وألقى بنفسه متدحرجا على الأرض وهو يطلق سيلا من الرصاص على ماجد.. وتدحرج ماجد على الأرض ليحتمي بجدار صخري صدعه الرصاص المنهمر عليه من كل اتجاه. ولم يشعر بغير شيء ثقيل يسقط عليه من أعلى

ويهوي به متدحرجا إلى الأرض لكن هو المرترق الأسود العملاق.

وزمجر المقاتل الأسود مثل فهد أرقط، وطارت قبضته لتصيب ماجد في بطنه، ثم طارت قدمه إلى رقبة ماجد فأطاحت به إلى الوراء في عنف وسقط منه مدفعه الرشاش.

واندفع المرترق الأسود العملاق وحمل ماجد فوق ذراعيه ودار به، ثم ألقاه نحو حائط صخري قريب ورأسه مصوب للحائط. ولكن ماجد سيه في اللحظة الأخيرة مستعيدا قواه، فدار حول نفسه ومس الحائط بقدميه، ثم اندفع إلى الخلف، وقفز في الهواء ليسقط خلف المرترق الزنجي ثم طوقه بذراع حديدية وراح يضغط عنقها بكل قوته وهو يقول له في قسوة: إنني يا عزيزي رجل المفاجآت. ومن ثم أكره أن يفاجئني وغد ما بأي مفاجأة قذرة

وشدد ضغطه على رقبة المرترق الأسود مضيفا: وهأنذا أعبر لك عن غضبي لما فعلته بطريقة ستؤكد لك أنني أعني حقا ما أقول..

وحاول المرترق انتزاع ذراع ماجد من رقبته دون فائدة

فتحشرجت أنفاسه وغامت عيناه. وهوى ماجد فوق رأس عدوه بضربة هائلة من مرفقه ترنح بها العملاق الأسود ثم تهاوى على الأرض فاقدا وعيه

ومرة أخرى تناثر الرصاص صوب ماجد وهو بلا سلاح فسبق أقرب جدار إليه واختفى أعلاه. وتصايح المرتزقة وهم يندفعون خلف ماجد متسلقين نفس السور الصخري

وما أن أطل أولهم لأعلى حتى أعادته قبضة ماجد من حيث جاء برأس مشجوج. أما الثاني فأصابته قدم ماجد تهشمت في أنفه وأسقطته لأسفل دون حراك.

وتراجع ماجد للوراء وقد أدرك أن المرتزقة لن يغامروا بالصعود إليه حتى يكونوا تحت رحمته واحدا وراء الآخر

وقد كان على حق فلم يحاول أحدهم تسلق السور الصخري ثانية. غير أنهم كانوا يدبرون له شيئا محتملا

ففي اللحظة التالية صدرت قنبلة يدوية شديدة الانفجار من أسفل وسقطت تحت قدمي ماجد

وانفجرت قنبلة في شبه التحام!

ولكن انفجار القنبلة جاء بعد أن ركلها ماجد بكل

قوته، فصارت في الهواء عائدة من حيث جاءت. وما كادت تمس الأرض بأسفل حتى دوى انفجارها يهز أركان القلعة وسط المزرعة. فتعالى صياح المصابين وصرخاتهم

وصارت عشرات القنابل إلى مكان ماجد تتفجر في وقت واحد وتنسف المكان نسفا

ولكن ماجد لم يكن في مكانه عندما انفجرت القنابل وعندما ساد الهدوء أخيرا صعد أدولف في حذر لأعلى. لكن المكان المهدم كان خاليا من أي أثر لماجد. وغمغم أدولف في حقد وهو يراقب المكان المتهدم: أين ذهب هذا الشيطان الماكر ؟.

ودار بعينيه في أرجاء القلعة العريضة. وهمس في حنق وهو يجز على أسنانه قائلا: إنني أدفع نصف عمري لأعرف أين إختفى هذا المصري، وكذلك ما ينوي أن يفعله، ولا كيف أتته الجرأة على دخول هذا المكان وحيداً بلا سلاح !.

ومن الخلف جاءه صوت خشن غاضب يقول. لقد خدعك هذا المصري مرة أخرى يا أدولف.

التفت أدولف في بطء وواجه نظرات رئيسه المقطبة المشتعلة بالغضب، ونكس رأسه دون أن يجد ما يرد به وارتعدت أصابع سيرجي وهو يواصل قائلاً: لقد فشلت في قتله بالأمس.. وواصلت جرأة هذا العميل المصري لأن يقتحم قلعتنا وبفاتنا وهو وحيد وأعزل ونحن مدججون بالسلاح، دون أن نتمكن من القبض عليه وبكون نتيجة سقوط العديد من رجالنا قتلى وجرحى برصاصته وقنابله

عض أدولف شفته مغمغماً: يا سيدي إنني..

ولكن إشارة من يد الكولونيل أوقفت عبارته، وجز سيرجي على أسنانه وهو يتأمل المصابين والقتلى حوله قائلاً: لقد خسرنا ما تبقى من رجالنا ولم يتبق لنا أكثر من ثمانية عشر رجلاً فقدنا أغلب قوتنا مما يهدد كل خططنا وعمليات الأعمال القادمة وكل ذلك بسببك أنت. وبسبب إهمالك.

وارتعدت أصابعه وهو يشير صوب وجه أدولف وعيناه تتقدان بالشرر مضيفاً: لقد أخطأت كثيراً.. وخطؤك الأخير لا يمكنني أن أتسامح معه أبداً وحتى أسوار القلعة لم

تنجح في حمايتها مع رجالك وستطاع هذا المصري انسس إليها وأنتم تعطسون في نوم عميق. ويبدو أنه قد حان أوان نومك العميق يا أدولف فلا مكان لديّ للفاشلين أمثالك

اتسعت عينا أدولف في رعب وذهول مغمغما: ماذا تقصد يا سيدي؟.

وجاوبه الكولونيل: أن أقصد ما عنيته بالضبط

وصوب مسدسه إلى رأس أدولف فجثا المرتزق على قدميه متوسلا: الرحمة أيها الكولونيل إنك لا يمكن أن تقتلني فقد خدمنا معا وكنا أصدقاء

فغمغم الكولونيل سيرجي في صوت أجوف: إن المرتزق لا صديق له غير نفسه.

ثم أطلق رصاصة واحدة.

وتهاوى أدولف على الأرض دون حراك وقد ارتسمت في عينيه نظرة فزع رهيبة. وظهر ثقب صغير في رأسه سال منه خيط رفيع من الدماء

جمد بقية الرجال أماكنهم. كأنما أصابهم شلل. ثم

أفاق بعد لحظة على صوت الكولونيل الغاضب وهو يصيح فيهم: أسرعوا بتفتيش كل ركن في القلعة، فأنا أريد القبض على هذا الشيطان المصري حيا أو ميتا.

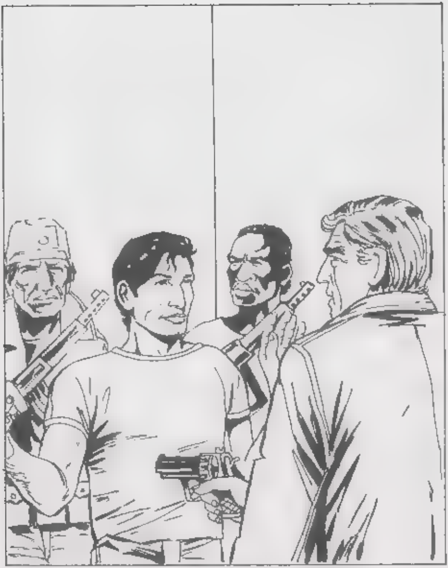
ولكن وقبل أن يتحرك المسلحون المرتزقة من أماكنهم علا هدير محرك طائرة، يتدلى منها حبل طويل، فأدرك الكولونيل سرجي على الفور الوسيلة التي أعدها ماجد ليغادر بها القلعة.

وصرخ الكولونيل في رجاله وهو يشاهد ماجد يبرز من أحد الأركان: اقتلوا هذا الشيطان قبل هربه.

فاندفع المرتزقة نحو ماجد في حصار رهيب. وضرب قدم ماجد لتطيح بأقرب المسلحين إليه، واحتمى خلفه فارتشقت عشرات الرصاصات في جسد المسلح الذي جعله ماجد ستارا يصد به سيل الرصاص المنهمر نحوه.

وشعر ماجد بضعف موقفه. كان الحبل المتدلي من طائرة (١١٣) على مسافة عدة أمتار منه وكان الوصول إليه يعرضه لطلقات المرتزقة.

ولكن وفجأة دوى انفجار شديد. وتصاعد دخان



كثيف.. ثم سقطت قنبلة دخان أخرى من أعلى. وأدرك ماجد أن رقم (١١٣) قد تصرف بالطريقة المناسبة فاندفع بكل سرعته وتعلق بالحبل المدلى لأسفل، وسرعان ما كان يرتفع لأعلى الطائرة ذات المحرك الواحد تحمله بعيدا عن القلعة.

وتنبه المرتزقة للخدعة فأطلقوا سيلا من الرصاص نحو ماجد المدلى من الحبل. ولكن مهارة (١١٣) وقيادته للطائرة بطريقة بهلوانية جعلت ماجد يتأرجح كالبندول الساعة في الهواء فطاشت كل الرصاصات التي أطلقت عليه وغابت الطائرة براكبيها حتى اختفت عن العيون، واندفع أحد الرجال إلى الكولونيل ممسكا بورقة في يده قائلا: لقد أسقط هذا المصري تلك الورقة فوق سور القلعة وهو معلق بالحبل المدلى من الطائرة.

فتح الكولونيل الورقة بأصابع مرتعشة وقد ملأه الغضب.. كانت بداخلها كلمات قليلة تقول: كولونيل سيرجي.. إنني أتحداك وكل رجالك. فإذا كنت لا تزال تمتلك بقية من شجاعة فانتظرني في الغابة بموقعة حيث نلتقي غدا وقت الغروب.

أطبقت أصابع الكولونيل حول الورقة فمزقتها في ثورة غضب عارمة، وهتف المرتزق الصيني قائلاً: قد تكون خدعة فلعل هذا المصري نصب لنا شركا في هذا المكان

ارتعدت شفتا الكولونيل سبرحي بغضب مرير وقال: حتى لو كان هذا الشيطان قد نصب لنا ألف شرك في تلك الغابة فسوف أقبل التحدي وأذهب لمقابلته هناك

وجز على أسنانه وهو يضيف: ولسوف تكون نهايته هناك على يدي. بعد أن أذيقه من العذاب ما سم يتخيل وجوده على الأرض أبدا. ولسوف أعد له من الفخاخ والشراك ما هو كفيل بقنص جيش كامل وليس فرد واحد، مهما بلغت قوته ومهارته..

وحدق في رجاله بعينين خبيثتين ثم قال ولكننا لن ننتظر إلى أن يأتي هذا الثعلب المصري ليتحدانا غدا، بل سنبادر بالعمل وقبل أن تغيب شمس هذا اليوم!

وانطلق يضحك ضحكة شيطانية خبيثة!

* * *

تسلق ماجد الحبل المدلى لأسفل سريعاً.. واستقر في المقعد المجاور لرقم (١١٣) الذي هتف به في سعادة غامرة : مرة أخرى لا أصدق أنك خرجت وعدت حياً من تلك القلعة الرهيبة.

ربت ماجد على كتف (١١٣) قائلاً لقد أنقذت حياتي مره أخرى أيها الصديق الذي.

مط ماهر شفتيه في استياء قائلاً : وما الذي فعلته بك.. مجرد قنبلتي دخان تافهتين ألقيت بهما في قلب القلعة.. إن بعض الأطفال المشاغبين يمكنهم أن يفعلوا أكثر مما فعلت.

صحت ماجد قائلاً : لا تكن متواضعا هكذا أيها الصديق.

التفت (١١٣) إلى ماجد في لهفة متسائلا : أخبرني ماذا فعلت داخل القلعة ؟.

ابتسم ماجد وهو يجيبه . لقد كانت مجرد نزهة صغيرة حددت فيها نشاط دورتي الدموية، بالإضافة إلى أنني قمت بإنقاص عدد رجال الكولونيل سيرجي إلى النصف.. وهذا سيعطل خططه القادمة في الاغتيال وسيشغله عنها . وهو

معناه إنقاذ بعض الضحايا الأبرياء الذين كان هذا السفاح يخطط لقتلهم

وأضاف وعينه تومضان ببريق حاد : وعندئذ سوف تكون المعركة الفاصلة بيني وبينه هو وزعيمه في لعبة خلف تلك القلعة.

التفت رقم (١١٣) في دهشة إلى محمد متسائلا : هل سوى الذهاب غدا بالفعل لتقابل أولئك المرتزقة ؟

محمد : إنني لم اعتد الهرب من التحدي ... وأنا الذي أعلنت هذا التحدي ولن أتركه لأي سبب

رقم (١١٣) ولماذا لا تتبع الشرطة الإنجليزية عنهم فيقبضون عليهم داخل اللعبة، وبذلك لا تعرض نفسك للخطر. وتنهي مهمتك بطريقة آمنة في نفس الوقت ؟

ابتسم محمد بسخرية وهو يجيب : يا عزيزي إن الشرطة الإنجليزية لن تؤدي المهمة بنفس الطريقة، وقد تؤدي بعض الاعتبارات الدبلوماسية لإطلاق سراح هؤلاء الأوغاد في صفقة من نوع ما ... أما أنا فلست مرتاحا إلى عقد الصفقات. وخاصة مع صنف الأوغاد!

والتفت إلى ماهر قائلا : ارجو أن تهبط بي في أقرب مطار من برج لندن، فهناك عمل مهم يجب أن أقوم به، وسأعود إليك في المساء لنتناول العشاء معا.

فأومأ رقم (١١٣) برأسه موافقا وشفتاه تهتزان في توتر بالغ..

وبلل ماهر شفتيه الجافتين، وبدا كأنه يريد أن يقول شيئاً. ثم غالب تردده والتفت الى ماجد قائلا : هل يمكنني أن أشاركك مهمة الغد ؟.

بدا القلق في عيني ماجد وقال معترضا : ولكن

هتف (١١٣) في توسل : أرجوك لا تحرمني من هذا الشرف، فقد صرت تواقاً للمشاركة في أي نوع من المهام القتالية وخدمة بلادي خدمة حقيقية

ومسح دمعة ترقرقت في عينيه وهو يقول : لقد صرت أشعر بأنني رجل عجوز لا يصلح لأي شيء، وتمنيت من الله أن تحدث معجزة تجدد شخصي وتعيد مجد الأيام القديمة الرائعة، فاستجاب الله لدعائي وأرسلوك أنت بالذات إلى هذه المهمة.

رمق ماجد (١١٣) في إشفاق.. كان يدرك ما يعانيه صديقه الدين، وكيف أن رجلا اعتاد القتال والقيام بالمهام طوال عمره، فإنهم عندما ينقلونه إلى الأعمال الإدارية فكأنما حكموا بموته وهو حي.. وبدا وجه رقم (١١٣) مفعما بمشاعر ألم وأسى لا حد لها.

وفي بطء وإشفاق أجابه ماجد : حسنا يا صديقي العزيز لسوف تشاركني مهمة الغد بشرط.. أن تنفذ كل ما أطلبه منك وألا تشارك في القتال إلا قليلا وتحت حمايتي

التمعت عينا (١١٣) وصفق بيديه في سعادة كطفل صغير هاتفا : إني لن أنسى لك هذا الجميل أبدا يا رقم (٧٠٠).

ومن أسفل ظهر برج لندن الشهير، هجوم (١١٣) بطائرته في حركة بهلوانية وهو يدور حول البرج، فسأله ماجد في دهشة : ماذا تفعل يا ماهر ؟.

فأجابه (١١٣) في بهجة . إني احتفل بتلك المناسبة السعيدة.. وليس بأقل من أن أقوم بتعطيل المرور في قلب لندن بأكملها !!.

ابتسم ماجد.. وراقب صديقه في سعادة وهو يشعر بابتهاجه البالغ وهو يقوم بحركات بهلوانية رائعة حول البرج

وبأسفل تجمع عدد كبير من المشاهدين وتعطل المرور وقائدو السيارات يتطلعون لأعلى ليشاهدوا ذلك الطيار البهلوان..

ثم اندفع ماهر بطائرته إلى المساحة المواجهة للبرج وهبط فوقها، وقفز من مقعده وفتح الباب المواجه لماجد وهو يقول ضاحكا : لقد وصلنا أيها الصديق الرائع فتفضل بالهبوط !.

قال ماجد ضاحكا : لقد طلبت منك الهبوط في أقرب مطار وليس أقرب ساحة من برج لندن.

هز (١١٣) كتفيه قائلا : إنني رجل عجوز كما ترى وتختلط علي أماكن الهبوط !.

قفز ماجد من مقعده إلى الأرض وهو يراقب نظرات المتجمعين حول الطائرة في دهشة بالغة.

وما أن شاهد رقم (١١٣) أحد رجال شرطة المرور وهو يهرع إليه حتى قفز إلى مقعد القيادة، واندفع بطائرته

لأعلى، فأسرعت الطائرة كطائر هرب مذعور تمتطي الهواء. وضحك رقم (١١٣) سعيدا وهو ينظر لأسفل نحو شرطي المرور لأن طائرته لم تكن تحمل رقما ما.. يمكن أن يسجل به الشرطي مخالفة مرور !

وغمغم الشرطي في غضب : هذا الطيار الأحمق . لو أنني قبضت عليه لقضى شهرا في السجن وسحبت منه رخصة قيادة الطائرة.

ثم تذكر ذلك الراكب الذي هبط من الطائرة قبل لحظات..

وعندما استدار باحثا عنه كان ماجد قد غاب وسط الزحام !.

اغتيال.. عميل

لهث رقم (١١٣) بشدة وتفصد العرق من فوق صدره العاري وذراعيه، بالرغم من الجو البارد داخل الشقة العريضة المطلة على نهر التيمز. وبالرغم من الاحتقان الشديد والإجهاد الذي صار يشعر به (١١٣) فإنه واصل أداء تمرينه الرياضية في قسوة وعنف. سنوات طويلة منذ توقف عن أداء تلك التمارين حتى ترهل وصار على تلك الصورة ولكن كل ذلك قد انقضى الآن. وسيعود رشيقا خفيف الحركة كما كان من قبل. فقد عادت أيام الإثارة والمعارك من جديد.

وانحنى على الأرض ليمارس تمارين الضغط. ولكن كرشه الضخم كان بمثابة عائق له ليؤدي تلك التمرين على الوجهة الصحيحة، ولكنه برغم ذلك واصل عمله في

إصرار وقد احتقن وجهه بشدة كأنه يتحدى نفسه

ثم تهاوى على الأرض وقد بلغ به الإجهاد كل مبلغ..

واعتدل لاهثا عارقا في عرقه.. كانت كل عضلة في جسده تؤلمه بشدة بسبب الإجهاد المفاجئ لها وشعر بتقلص فيها.

وغمغم ماهر لنفسه في ألم لقد جاء رقم (٧٠٠) متأخرا كثيرا.. ولو أنه جاء قبل عام أو اثنين لربما اختلف الوضع كثيرا بالنسبة لي.. ولأمكنني القتال بجواره بصورة أفضل.

ثم تذكر وعده لماجد بمشاركته مهمة الغد، فاستعاد نشاطه وحيويته وقفز من مكانه هاتفا إنني لن أخذله أبدا.. لقد جاءتني الفرصة ولن أدعها تفلت من يدي فليس من اللائق أن يخذل أي إنسان صديقا رائعا مثل رقم (٧٠٠).

واتجه إلى حجرة نومه وفتح الدولاب. وأمسكت أصابعه بعلبة معدنية فتحها في حرص وبداخلها ظهر مسدس كبير من طراز « ماغنوم ٣٨ »، تحسسه ماهر في رهبة.

مرت سنوات كثيرة منذ استعمل ذلك المسدس آخر مرة.. وها هي لحظة استعماله ثانية قد حانت. بالرغم من التعليمات التي كانت تحظر عليه ذلك.

وغمغم لنفسه وهو يتحسس مسدسه: لسوف أستعمله ولو طردوني بسبب ذلك من الخدمة.

والتقط زجاجة زيت خاصة بالأسلحة وشرع في تفكيك المسدس.. ثم التقط بضع رصاصات ملأ بها خزنة الرصاص.. صار سلاحه على أهبة الاستعداد للعمل ثانية.

وأمسك بالمسدس مصوبا على نقطة وهمية وهو يغمغم لنفسه: لقد صار كل شيء جاهزا الآن. وأنا على أتم الاستعداد لخوض تلك المعركة، لكي يذوق الأعداء أي طعام حارق قد أعددناه لهم.

وابتسم وهو يتخيل ذلك الكولونيل الدموي الذي يقود فريقا للمرتزقة واقفا أمامه، فصوب المسدس نحو ذلك الشخص الوهمي قائلاً: إنك لن تحتاج غير رصاصة واحدة تخرق رأسك القذر فتريح العالم من شرك.

وكاد يضغط على زناد المسدس لولا أن تذكر في

لحظة لأخيرة أنه يصوب سلاحه على عدو وهمي، فهبطت يده وهو يقول ضاحكا : إن الغد ليس ببعيد . وسيعرف هذا الوغد الكوبي من سيرحي أي عدو سيواجه !

كان رقم (١١٣) مشهورا في السابق بدقته البارعة في التصويب.. والآن لا يدري إن كانت تلك الدقة قد نقصت أم لا. وعموما لا شك أنني ما زلت احتفظ بمهاري.. ومن المؤسف أنني لن أستطيع اختبار ذلك الآن.

وتأمل مسدسه الكبير في إعجاب وهو يهز رأسه وهمس لنفسه : إنه مسدس رائع.. وطلقة واحدة منه كفيلة باختراق جمجمة من يصيبه ثم ستتحطم عندها في محاولة لتصنع نقشا بديعا للذكرى !.

دق جرس الباب فسرت معالم الابتهاج على وجه (١١٣) وهتف . إنه ماجد.. قد حضر سريعا

ومن المؤسف أنني لم أخبره لماذا ي عشاء

وأعاد مسدسه إلى مكانه في الدولاب بحرص بالغ وواصل ضاحكا وهو يخطو خارجا من حجرته . سوف

مفاجأة عندما يجد أنني استعدت شبابي ثانية بفضله.. أما العشاء فيمكننا تناوله في أي مطعم قريب.

وامتدت يده تفتح الباب.. ثم حدق بعينين واسعتين في ذهول بالغ بالمشهد الذي تبدى أمامه..

كانت هناك فوهتا مسدسين مزودتين بكاتمين للصوت مصوبتين إليه أحدهما كان يحمله زنجي أسود ذو عنق مهشم، والآخر يحمله صيني ويظهر في عيونهم كراهية عميقة.. وبينهم كان ثمة شخص واقف بوجه مقطب حاد الملامح تحتل عينيه نظرة مخيفة.. وقد استقر سيجار كبير مشتعل بين شفتيه.

تراجع ماهر إلى الوراء من المفاجأة.. وتقدم الكولونيل سيرجي وخلفه رجلاه.. وأغلق الكولونيل باب الشقة خلفه وهو يتأمل رقم (١١٣) ساخراً ثم قال له: يبدو أن حضورنا إليك كان مفاجأة لم تتوقعها أبداً.

وأضاف ساخراً: بالرغم أنه من أول قواعد عملك أن تتوقع المفاجآت دائماً.. وتستعد لها.. وأن تحتاط لمن يطرق بابك وتتأكد من شخصيته قبل أن تفتح بابك له!.

عمعم رقم (١١٣) في عصب دون أن يتعرف على زائريه المسحين : من أنتم.. وماذا تريدون مني ؟.

رفع سيرجي حاجبيه في دهشة قائلاً : من العجيب أنك تجهل أصحاب تلك القلعة التي هاجمها طائرتك صباح اليوم.. مع ذلك الشجعان المراوغ، وأنقذته من أنديا في اللحظة الأخيرة.

عمعم ماهر في ذهول وقد تكشفت الحقائق أمامه : أنت الكولونيل سيرجي ؟.

فاقترب منه الكولونيل والتقط من فمه سيجارته المشتعل قائلاً : يسعدني أنك تعرفت عليّ.

وتأمل المكان حوله مضيفا : إنها شقه لا بأس بها وتليق برجل مهم من رجال المخابرات المصرية في سدن حتى وإن كان لا يمارس غير الأعمال الإدارية منذ بضعه أعوام.. ولكن المؤسف أن أصدقاءنا يعرفون شخصية ساكن الشقة وحقيقه عمله. وساعدونا للوصول إليه دون مشقة وخلال وقت قصير.

تراجع ماهر إلى الوراء خطوة وقد أدرك الخطر المحدق

به. واقترب منه الكولونيل متسائلا: ترى أين ذهب رقم (٧٠٠). لا أعتقد أنه بداخل الشقه وإلا ما تأخر في الظهور إلى هذا الوقت؟.

لم ينطق ماهر بشيء.. فتأمله الكولونيل في سخرية قائلا: لقد أعتدت دائما أن أحصل على إجابة لأسئلتي أيها البدين.

وبكل قوته أطفأ كولوس سيجارته المشتعلة في صدر ماهر العاري. وصرخ رقم (١١٣) متألما من لحمه المحترق، وهوت كفه في صفعة عنيفه فوق وجه الكولونيل صارخا أيها المتوحش

وما كادت الصفعة ترن على وجه الكولونيل، حتى قفز المسلح الأسود من مكانه وهوى بمؤخرة مدفعه الرشاش فوق رأس ماهر فترنح للخلف وهو يشعر أن جمجمته قد تحطمت. وطارت قدم الصيني لتصيبه في فكه، فبصق ماهر بضع أسنان مكسورة مختلطة بالدماء بعد أن اصطدم بالحائط خلفه.. وغمغم في غضب وحشي: أيها الشياطين لسوف تنالون عقابا قاسيا.

وقفز من مكانه وهو يهدد كثور جريح. ولكن حركته لم تكن بالسرعة الكافية بسبب بدانته، فتحاشى النمر الأسود لكمته المصوبة إليه، وبمؤخرة بندقيته هوى على صدر ماهر بكل قوته فشعر (١١٣) أن عظام صدره قد تحطمت.. ولكنه برغم ذلك قبض بأصابعه الهائلة على رقبة ... وراح يضغط عليها بكل عنف.

ولكن ركلة أخرى من القصيبي ما بين ساقي ماهر جعلته يزأر من الألم ويهوى على الأرض وهو يئن وقد احتقن وجهه بلون الدماء..

واقترب منه الكولونيل مبتسماً وقال له: على هذا اتفقنا أن نتعاون معاً ونحرر أبي ذهب ... ومتى سنعود حتى نستعد لاستقباله برصاصنا.

ولكن ماهر أشاح بوجهه بعيداً في ألم. فركله الكولونيل في عنف في معدته فدوت رقم (١١٣) بشدة وجز على أسنانه وتمنى لو أن تلك المعركة قد حدثت منذ أعوام مضت لكان قد لقن أولئك السياسيين درساً لا ينسونه طوال حياتهم وهو بكامل لياقته.

وهمس إلى الله ألا يصل ماجد في ذلك الوقت حتى لا يكون مصيره الموت على أيدي أولئك المرتزقه.

واقترب الصيني من ماهر شاهراً خنجره، ولوح به أمام وجهه وهو يقول له. هل ستساعدنا أم سنزع أعصابك واحداً وراء الآخر ؟.

ولكن ماهر بصق في وجهه مغمغما في ألم : اذهب إلى الجحيم أيها الشيطان.

مسح الصيني البصقة من فوق وجهه وقد أصابه غضب حاد وهتف في حقد لقد اخترت مصيرك أيها الغبي

ثم هوى بالسكين فوق صدر ماهر.

ولكن رقم (١١٣) تدحرج في الوقت المناسب فطاشت الضربة، وفي خفة اندفع نحو حجرة نومه وهو يلهث بشدة.. كان ثمة أمل أخير للنجاة وكان عليه المغامرة بالوصول إليه.

والتقطت أصابعه مسدسه من علبته في سرعة محمومة. ولكن وقبل أن يصوبه إلى أعدائه استقرت سكين الصيني

في بطنه فجحظت عينا ماهر.. ثم تهاوى على الأرض وأصابعه لا تزال قابضة على مسدسه في ألم رهيب

واقترب منه الكولونيل وركله ثانية في عنف وهو يقول له : إن محاولتك ادعاء البطولة لن تنتهي إلا برصاصة في رأسك أيها الغبي. وبعدها ستستقر رصاصات أخرى في رأس زميلك بعد دخوله هذا المكان ثانية وحده

وأمسكه من رقبته صارخا فيه : من الأفضل لك أن تجيبني على أسئلتي.

أدرك ماهر أن نصيبه في النهاية هو الموت وكان كل ما يفكر فيه في تلك اللحظة هو إنقاذ ماجد.. ولم يكن أمامه من وسيلة لذلك غير تصرف وحيد كان ثمنه الموت الفوري له . ولكنه ربما كان يمكنه به إنقاذ حياة ماجد.

وانتزع الكولونيل السكين من بطن رقم (١١٣)، وراح يصنع بها شقوقا طولية في ذراعيه، فعض ماهر على شفتيه من الألم الرهيب، وراقبه الكولونيل في وحشية قائلا : ليست هذه هي البداية ما دمت تصر على عدم الإجابة

على أسئلتي.. والآن هل أقتنع عنك أم أضعك أولاً؟

ورفع خنجره عالياً وهو يراقب رقم (١١٣) قائلاً لسدأ بعينيك فإن منظرها لا يعجبني وأنت تحدق في تلك الطريقة!.

ولكن وقبل أن يهوى بخنجره همس ماهر بضعف سوف أعترف لك بكل شيء.

فتوقفت يد الكولونيل في الهواء وقال في رضا حسناً. إنني أنتظر إجابتك.

وغمغم ماهر في ألم حارق للكولونيل سيرجي: هذه هي إجابتي الوحيدة أيها الوغد على كل أسئلتك.

وضغط أصبعه فوق زناد مسدسه وقد استجمع كل ما تبقى له من قوته الخائرة.. وانطلقت رصاصة طائشة أصابت ذراع الكولونيل واخترقتها إلى الحائط، فسقط على الأرض وهو يئن من الألم..

وقبل أن يفكر (١١٣) في أن يستعمل مسدسه مرة أخرى.. انطلقت عشر رصاصات أصابته في صدره وبطنه.

فتراخت يده الممسكة بمسدسه ثم سكنت حركته.

وقفز المرتزقان نحو رئيسهما.. فنهض متألما ممسكا بذراعه، وسارع أحد المرتزقة بتضميد الذراع الجريحة الغارقة في الدماء. وصاح الكولونيل في حقد وحشي : هذا البديل القذر

وراح يركله في عنف بالغ فقال له الصيني : لقد مات ولن يفيد ذلك في شيء.

وتأمل ذراع الكولونيل في قلق قائلاً : إنك في حاجة إلى إسعاف عاجل.. وأخشى أن يكون أحد من سكان الغابة قد سمع صوت طلقة رصاصة هذا الغبي الذي فيسرع باستدعاء الشرطة لنا.

جز الكولونيل على أسنانه في صوت وحشي قائلاً : وهل سنغادر هذا المكان قبل أن نقتنص ذلك الشيطان المصري ؟.

أجابه الزنجي . إنه لن يفلت منا غدا في الغابة على أي حال، فقد أعددنا له من الكمائن والخدع ما هو كفيل باصطياد فيل.

عض الكولونيل على شفتيه في ألم وهمس : يبدو أنه لا مفر لنا من مغادرة هذا المكان..

واتجه خارجا من الشقة وخلفه المرتزقان.. وفي لحظات قليلة كانوا يتسللون خارجين من البناية دون أن يلحظهم إنسان.

ومر وقت طويل قبل أن ينفتح باب الشقة مرة أخرى

وفوجئ ماجد بمشهد اضطراب الصالة أمامه وأثاثها المبعثر.. ولمح خيطا من الدماء ينثال من حجرة النوم، فاتسعت عيناه في ذهول غير مصدق واندفع صوب الحجرة.. ثم وقف كالمشلول في مدخلها وارتعشت شفتاه وهو يشاهد الجسد الممدد على الأرض الغارق في الدماء وقد استقرت رصاصات عديدة في جسده ورشقة سكين في بطنه.. وظهر أثر حرق واضح في الصدر بأعلى، وصاح ماجد في جنون : ماهر ؟.

واندفع نحو (١١٣)، فتحرك جفنا ماهر في وهن وارتسمت ابتسامة شاحبة على وجهه وهمس في صوت ميت حمدالله أنك عدت أخيرا.. فقد قاومت الموت

طويلاً حتى أراك وتظاهرت بالموت أمام هؤلاء الأوغاد لكي تتبقى لي بضع لحظات أراك فيها قبل موتي.

ارتعشت شفتا ماجد في حنون صارخ من لديك فعل بك ذلك ؟.

أجابه (١١٣) وهو يصارع الموت: إنه الكولونيل سيرجي واثنان من رجاله أحدهما زنجي والآخر صيني. وقد أراد نصب كمين لك هنا لقتلك. ولكني سارعت بإطلاق رصاصة على الكونوس وأصبته لكي يعذر إمكان بحثنا عن علاج له.

وأغمض عينيه في شحوب الموت، فاحتضنه ماجد وسالت الدموع من عينيه وهو يقول له: ولكنك بذلك حكمت على نفسك بالموت.

فتح ماهر عينيه وهمس في النزاع الأخير إن موتي لن يهم في شيء.. فقد كنت أسعى لدخول معركة فجائتني سريعة، وليس علي أن أندم مما حدث فلطالما تمنيت أن أموت وفي يدي مسدس دفاعا عن وطني وها قد تحققت أمنيتي. والمهم عندي أنني أنقذتك أيها البطل.. وما أرخص

الثمن الذي دفعته في سبيل ذلك.

فهز ماجد من مكانه صوب الهاتف صارخا : سوف أستدعي سيارة إسعاف لك حالا و .. ولكن ماهر قاطعه في همس مؤسم قائلا : لا فائدة.. لقد انتهى كل شيء الآن..

وغمغمت شفتاه بارتجافة الموت خذ بثأري أيها البطل.

ومالت رأس (١١٣) وانطفأ بريق عينيه في اللحظة التالية فجثا ماجد بجواره وأخفى وجهه بين يديه وقد سالت دموعه واحتضن الجسد المسجى أمامه بلا حراك . فسقطت دموعه واختلطت بدماء رقم (١١٣).. ورفع ماجد عينين محتقنتين بدموع كالدماء وهمس في صوت رهيب : أقسم أن أنتقم لك أيها الصديق.. وإن دمك لن يضيع هدرا.. وسوف يسيل مقابله نهر من دماء أولئك الأوغاد.

لهيب الانتقام

وقف الكولونيل « سيرجي مراقتش » وسط رجاله وهو يدخن سيجاره، وقد راح يراقب قرص الشمس البارد الذي أوشك على الغروب بعينين محتقنتين ويده اليسرى مضمدة ومعصوبة إلى رقبته بلا حراك. وقد ظهرت أشجار الغابة في الخلف، شامخة يجللها الغموض والسكون. وفوهات المدافع الرشاشة في أيدي رجاله المرتزقة تتحرك في كل اتجاه، وعيون أصحابها ترمق كل حركة مهما بلغت ضآلتها في مدخل الغابة.

وسحق الكولونيل سيجاره وهو يقول غاضبا : لقد خشي هذا الثعلب المجيء بعد أن شاهد ما جرى لصديقه. وهذا هو ما توقعته من البداية.. فقد غربت الشمس دون أن يجيء.

وزفر في غيظ مضيفا : كان علينا ألا نغادر تلك الشقة اللعينة قبل وصوله والتخلص منه.

وتوارى قرص الشمس تماما في الأفق وهبت ريح باردة حركت أغصان الأشجار وأملت حذوعها، فهتف الكولونيل في سخط . إنه لن يأتي.. لقد هرب هذا الثعلب.

ولكن صوتا من الخلف جاء يقول : إنني لم أهرب من أي تحدٍ من قبل أيها القذر

استدارت فوهات المدافع الرشاشة بسرعة مفاجئة فشاهد الجميع ماجد واقفا في قلب الغابة وفي عينيه نظرة أشد برودة من الثلج ودون أن يحمل سلاحا واحدا وكان من الواضح أنه اختار المجيء عبر الطريق الصعب، عبر الغابة مفاجئ الذئاب المختبئة في مخابئها.

ضاقت عينا الكولونيل وقال لماجد : إن جرأتك لا مثيل لها.. ظننتك لن تأتي أبداً.

أجابه ماجد وعيناه تشتعلان غضبا : لقد جئت للانتقام. إنها المرة الأولى في حياتي التي أسعى فيها للانتقام، ولست آسفا على ذلك ولو أزهقت عشرات الأرواح القذرة وأهديتها إلى الشيطان.

أطلق الكولونيل ضحكة رنانة وقال : فسر كيف سيمكنك

الانتقام وأنت وحيد أعزل وحولك عشرون مسلحا. لقد جئت إلى حتفك أيها الأحمق.

وصاح في رجاله: اقبضوا على هذا الشيطان حيا أو ميتاً.

وفي الحال دوت أصوات طلقات الرصاص لتحصد رقم (٧٠٠) من كل اتجاه، ولكن ماجد قفز محتميا خلف أقرب شجرة، واندفع إلى قلب الغابة في خط متعرج لتخفيه الأشجار عن العيون.. فتبادل الكولونيل سيرجي مع الزنجي نظرة ساخرة وقال: لقد دخل الشرك بقدميه. وإن لم تقتله رصاصتنا، فستنهي الحيوانات المروعة في قلب الغابة حياته خلال دقائق قليلة.

وواصل ماجد اندفاعه عبر الغابة وطلقات الرصاص تدوي خلفه.. لقد اختار أن يدخل التحدي بإرادته وهو لا يمكن أن يهرب منه أبدا لأجل أشياء كثيرة

لأجل الأبرياء الذين قتلهم هؤلاء المجرمون دون ذنب.

ولأجل ماهر الذي مات غيلة وغدراً.

ولأجل وطنه الذي اعتدى هؤلاء الأوغاد على أمنه وسلامته.

واندفع خلف شجرة يحتمي بها، ولكن قدمه تعثرت في أحد جذوعها، وفي نفس اللحظة لمح ماجد قطعة الخشب الضخمة المسننة التي كانت تحجبها جذوع وأوراق الأشجار، والتي كانت على شكل فخ مثبتة بحيث أنها تدور بعنف حالما تمس قدماه جذع الشجرة، فتنغرز تلك السنون في قلبه كأنها خناجر حادة.

ولكن ماجد قفز لأعلى فتهاوى جذع الشجرة في الهواء ولم يحصد غير الفراغ ثم سكنت حركته.

واقتربت أقدام حذرة من مكان ماجد، وقال أحد المرتزقة: لا شك أن الجذع المسنن قد ارتشق في قلبه وقتله لساعته و..

ولم يكمل المرتزق عبارته، فقد تحرك الجذع المسنن بكل قوته مرة أخرى في دورة عكسية بعد أن دفعته قدم ماجد، فاستقرت السنون في صدور ثلاثة من المسلحين فسكنت حركتهم إلى الأبد.

وعلا صوت طلقات الرصاص وصياح بقية المرتزقة المفاجئين لما حل بزملائهم.. ولكن ماجد كان قد اختفى

كأن ابتلعته الغابة ولم يصبه خدش.

كان يعرف الحيل والفخاخ التي يجيد المرتزقة زرعها داخل الغابات.. وكان ذلك يمنحه فرصة جيدة لاستغلالها لصالحه.. فقد كان خبيرا بأنواع حرب العصابات.

ولمح حبلا مشتاً على الأرض وفوهة بندقية مثبتة ومخيفة بين أغصان أحد الأشجار، بحيث إذا مست قدمه الحبل انطلقت البندقية تحصده. وفي حذر رفع ماجد الحبل وربطه إلى الناحية الأخرى. وعندما شاهد عددا من المسلحين أصدر صوتا ضعيفا، فاقترب المسلحون حذرين، من الجهة اليسرى وقال أحدهم محذرا حذروا من الخصم المختفي في الناحية اليمنى.

ثم جحظت عيناه عندما مست قدمه الحبل الذي تبدل مكانه بطريقة خفية. وقبل أن يتمكن المسلحون من أن يفعلوا شيئاً أو يفهموا سر ما حدث دوت طلقات الرصاص التي حصدتهم من فوهة البندقية المخفاة بأغصان.. فسقطوا يتخبطون في دمائهم.

ومرة أخرى اختفى ماجد دون أن يترك خلفه أي أثر.

وعندما أفق الكولونيل « سيرجي » وشاهد ما حل برجاله أصابه غضب عارم وهتف في عصب حارق يا لهذا الشيطان.. لقد افقدنا نصف رجالنا في أقل من عشر دقائق، ودون أن يطلق هذا الثعلب الشيطاني رصاصة واحدة ضدنا.

وصرخ في جنون في بقية رجاله : سارعوا بقتل هذا الشيطان بأي ثمن.

ولكن فجأة سقط حبل سميك من فوق إحدى الأشجار على شكل أنشوطة التفت حول رقبة اثنين من المسلحين وجذبتهما عاليا وهما يتخبطان في الهواء.

وانطلقت رصاصات الباقين تحاول حصد عدو خفي ونحو الحبال التي أطبقت على رميليهما وتمزقت الحبال القابضة على رقبة المسلحين فهويا فوق الأرض بعظام محطمة لا يقدران على الحركة. فألقى عليهما الكولونيل سيرجي نظرة مرتعدة لشدة غضبه وهو يعض شفتيه في قسوة مؤلمة.

ومرة أخرى ساد السكون داخل الغابة ولا أحد يتحرك فوق رؤوس أشجارها دون صوت وسقط الظلام في قسـ

الغابة. وكان باستطاعة ماجد رؤيته في قلب الظلام.. ولكن يعرف أن لأعدائه نفس القدرة أيضاً، فلطالما حاربوا في قلب متن تلك الغابة ليل نهار.

والتقط عصاً من جواره شذبه بخنجر صغير فصنع منه ما يشبه الحربة تحدها سلاحاً به.

ومن أسفل شاهد اثنين من المرتزقة يقتربان منتصبين شاهرين أسلحتهما.. وبخفة الفهد قفز لأسفل فسقط فوق أولهما محطماً عنقه. أما الثاني فأطاحت ركلة ماجد به، وعاجله بضربة من قبضته هشمت فكه وأرسلته بلا حراك بجمجمة مهشمة.

ودون طلقات رصاص كالسيل من الوراء، ولكن حربة ماجد التي انطلقت تشق الفضاء أسكتت صاحب الطلقات وألقته على الأرض دون حراك.

وهمس ماجد لنفسه. لم يتبق غير خمسة من أولئك الشياطين.. ورئيسهم.

وصاح الكولونيل في رجاله الخمسة في صوت أقرب إلى الجنون: سيروا معاً وحاذروا من هذا الثعلب

ومن مكانه بأعلى إحدى الأشجار كان ماجد يراقب ما يجري بأسفل.. كان من الجنون أن يواجه خمسة مسلحين بالمدافع الرشاشة.. ولكن كان بإمكانه خوض التحدي بوسائل أخرى.

وشئت بحس صوتي، ثم قفز من مكانه إلى أسفل على شكل دائرة واسعة، وما أن اقترب المسلحين الخمسة حتى اختطف أحدهم بذراعه التي أطبقها حول رقبته، وارتفع به لأعلى إلى شجرة أخرى في غمضة عين

وعندما انطلقت رصاصات بقية المرتزقة استقرت كلها في جسد زميلهم الذي تركه ماجد يهوي من أعلى بلا حراك، ثم اختفى مرة أخرى بين الأشجار مثل قرد بارع.

وجن جنون المرتزقة الأربعة وراحوا يطلقون الرصاص بلا هدف.. وماجد من مكمنه يراقبهم وفوق شفتيه ابتسامة قاسية كالصخر. باردة كالثلج ابتسامة كانت تبعث الرجفة في أوصال أعتى أعدائه إذا ما شاهدوها مرتسمة فوق شفتيه.

لم يكن القتل صناعته حتى لو كان يسعى إلى الأسقم ولكن لا بأس أن جاء الموت ليحصد الأوغاد بأيدي زملائهم

من الأوغاد الآخرين.. أو بواسطة خدعهم وشراكهم التي أعدوها لقتله.

وكانت هذه هي خطة ماجد في مواجهة أعدائه

وتنبه الكولونيل سيرجي لذلك فصرخ في رجاله الأربعة :
إن هذا الشيطان يمارس معنا نوعا من حرب العصابات، وهو يريدنا أن نقتل بعضنا البعض فحاذروا

تسلل ماجد في خفة إلى الأرض والتقط مدفع أحد المسلحين القتلى وشاهد المسلحين الأربعة وقد انقسموا إلى فريقين كل منهما يبعد عن الآخر بعدة أمتار وهما يراقبان المكان حولهم بعيون كلها حذر فاختفى ماجد خلف إحدى الأشجار واقترب من ظهر اثنين من المسلحين ثم أطلق النار عنه في الهواء.

وعلى الفور استدار المرترقان الى الأمام ليطلقا رصاصاتهما على زميليهما في الخلف في رد فعل مفاجئ. ودون أن يدريا بخدعة ماجد..

وتهاوى المرترقان في الخلف على الأرض وقد امتلأ جسداهما بعشرات الرصاصات.

ووقف زميلاهما في ذهول لا يصدقان ما قاما به كلاهما الزنجي والصيني.. وصرخ الكولونيل « سيرجي » فيهما ليفيقا من ذهولهما لقد خدعنا هذا الشيطان مرة أخرى فلنسرع بالعودة إلى القلعة والاحتماء بها من هذا الماكر الخبيث.

فاندفع ثلاثتهما يعدوان بكل سرعتهم وهم يطلقون الرصاص بطريقة عشوائية حتى بلغوا القلعة لاهثين فاجتازوا أبوابها وأغلقوها في عنف.

واعتلى الزنجي والصيني الأسوار واحتميا خلف مدفعين رشاشين يمكن لكل منهما أن يطلق ألف طلقة في المرة الواحدة كالمطر.

وصرخ الكولونيل : أضيئا كل الأنوار الكشافة حول أسوار القلعة وحاذرا من أي خدعة.

وفي الحال سطعت الأضواء الكشافة لتحيل ظلام الأسوار الى ضوء مبهر افترش كل ركن أمام القلعة، بحيث كان من المستحيل أن يقترب إنسان دون كشفه، ويصير صيدا سهلا لألوف الرصاصات والقنابل اليدوية

وبكى ومن الخوف وعلى مسافة قريبة وقف ماجد يراقب القلعة المضاءة وعيناه تومضان ببريق حاد، وغمغم لنفسه في إصرار: لسوف أقتحم القلعة.. ولو واجهت الجحيم في سبيل ذلك.

وشرع في التقدم للأمام.

الانتقام الأخير

حمل ماجد مدفعه الرشاش وتقدم إلى الأمام دون أن يهتز قلبه..

كان قد واجه الموت من قبل عشرات المرات.. وكان على استعداد لأن يواجهه هذه المرة ولو كانت نهايته.

وعندما صار في مدى ضوء كشافات القلعة أطلق دفعة رصاص من مدفعه الرشاش، فتحطمت الكشافات وساد الظلام المكان..

وسمع ماجد لعنة من الصيني بأعلى السور، والذي ضغط على زناد مدفعه الجهنمي فإنطلق الرصاص مثل رخات المطر يحصد كل شيء في طريقه، ويقتلع الأشجار ويحطم الصخور ويفتت الأرض.

وبكل قوّته تدحرج ماجد في قلب الظلام محتميا تحت أسوار القلعة من الرصاص المنهمر بأعلى. واكتشف في اللحظة ذاتها أن رصاص مدفعه الرشاش قد نفد.

ولكنه واجه مواقف أسوأ من قبل وما كان يمكن لنفسه أن يهتز بسبب ذلك. ووقعت عيناه على شجرة قد اقتلعها رصاص الصيني فانتزع أحد أغصانها وصنع منها قوساً. وانتزع عصا أصغر حك مقدمته بحجر صانعا منه سهما..

وتحرك ماجد في حذر وصوب قوسه من أسفل لأعلى، وصاح في عدوه المستتر في الظلام: هذه لك مع تحياتي أيها القذر. فتذكر رقم (١١٣) عندما تذهب وحدك الى الجحيم.

أطل الصيني لأسفل في غضب.. وكان هذا هو ما يريده ماجد تماما. فأطلق سهمه الذي استقر في صدر الصيني الذي ترنح في ذهول وفقد توازنه. ثم تهاوى من فوق السور نحو الأرض وارتطم بها ثم تمدد فوقها بلا حراك بعظام مهشمة.

واقترب ماجد من السور محاذراً، وتسلق الصخور النائتة

من السور صاعداً لأعلى في حمة وحذر، ولكن ما كادت رأسه تطل من أعلى السور حتى هوت ضربة قوية فوق رأسه من قدم عملاقة..

وترنح ماجد وكادت أصابعه تفلت حافة السور، ولمح عدوه منتصبا فوق السور.. كان هو الزنجي الذي صرح في ماجد : لقد هشمت فكي من قبل.. والآن سأهشم كل عظامك.

وراح يسحق أصابع ماجد تحت قدميه، فأحس رقم (٧٠٠) كأن قطارا يمر فوق أصابعه، ولكنه تمالك ما تبقى له من قوة ودفع قدم العملاق بيده اليمنى بشدة فترنح العملاق وسقط للداخل من أعلى السور.. وانتهز ماجد الفرصة وتسلق السور واعتلاه.

ونهض العملاق وهو يزمجر غاضبا كذئب جريح.. وامتدت أصابعه إلى مدفعه الرشاش ولكن قدم ماجد أطاحت به بعيدا.

واقترب منه ماجد ساخرا يقول له : لماذا لا تخوض صراعا متكافئا كما يفعل السادة المهذبون ؟.

ودار حول عدوه مواصلاً في سخرية أشد. وإن كنت أرى أنك لست إلا رجلا قذراً لا يستحق حتى باقة ورد رخيصة فوق قبره !.

زمجر الرنحي في غضب وحشي لن يذهب أحد إلى القبر غيرك أيها الثعلب.

وقفز المرتزق ماداً يديه للأمام ليطبق على رقبة ماجد، ولكن رقم (٧٠٠) تحاشى اليدين الضخمتين وصوب ضربة بكل قوته إلى معدة العملاق الأسود الذي انحنى للأمام من شدة الألم، فعاجله بضربة أخرى في فكه جعلته يستقيم ثانية وهو يصرخ من الألم.

وصاح ماجد به في غضب عارم : هيا أصرخ مرة ثانية أيها القذر فلا شك أن رقم (١١٣) قد صرخ كثيراً وأنتم تقومون بتعذيبه قبل قتله.

ولكن الرنحي هدر كالدبابة وقفز بغتة مطبقا ذراعا كالفولاذ حول رقبة ماجد من الخلف.. ولكن رقم (٧٠٠) كان أكثر ليونة، فجذب الرنحي من ياقته وألقاه إلى الأمام، وبحركة جودو بارعة وقبل أن يفيق الرنحي، أمسكه ماجد

من ذراعه وألقاه للخلف، فتدحرج الزنجي بقوة إلى حافة السور، ثم تنبه في اللحظة الأخيرة وتعلق بحافة سور القلعة قبل أن يسقط من ارتفاع عشرات الأمتار.

وتقلقل الحجر الذي تعلق به الزنجي، فصرخ في فزع : النجدة.

ولكن صرخته ماتت عندما تهاوى الحجر، فسقط الاثنان إلى أسفل. وسمع ماجد صوت سقوط الزنجي على الأرض وسقوط الصخر فوقه فقتله لساعته.

ونهض ماجد وهو يقول لنفسه : لم يعد غير ذلك الكولونيل القذر السفاح.. فقد ضاقت دائرة الانتقام إلى أدنى حد.

ولكن وفي نفس اللحظة دوت طلقات رصاص كالمطر، فألقى ماجد بنفسه على الأرض متدحرجاً بعيداً، ومحتميا خلف حافة السور وهو يراقب الكولونيل الذي ظهر عند حافة السور ممسكا بمدفع رشاش بيده السليمة، والأخرى المصابة قد تدلت بجواره بلا حراك

وصرخ الكولونيل من مكانه : لن تتمكن من

الهرب. سوف أقتلك برصاصاتي.

فأجابه ماجد ساخرا من مكمنه: كثيرون قالوا لي نفس الكلمات أيها الوغد. فكانت آخر كلماتهم.

ولهث الكولونيل وقد أدرك حرج موقفه، ثم صاح في صوت أقرب الى التوسل: إنني مستعد أن أدفع لك ما تريد فلدي من الملايين ما لا حصر له.. وهكذا يمكننا أن نعيش معا، فليست هناك عداوة شخصية بيننا ويمكننا أن ننسى كل ما كان بيننا وعداواتنا.

ولكن ماجد أجابه ساخرا: لا شك أن كثيرين من ضحاياك قدموا لك نفس العرض قبل أن تطلق عليهم رصاصاتك الأخيرة.. وهو ما سأفعله معك أيها القذر!

علا صياح الكولونيل في جنون سوف أقتلك أيها الشيطان.. سوق أقتلك ولن تنجو من يدي وأقسم على ذلك.

وضغط فوق زناد مدفعه الرشاش فانهمر الرصاص كالمطر ثم توقف الرصاص فجأة فأدرك ماجد أن رصاص الكولونيل قد نفد، فنهض من مكانه.. ولكن الكولونيل كان أسبق منه في الحركة، فاندفع هابطا سلالم القلعة واختفى داخلها.

واندفع ماجد خلفه كالفهد الذي أوشك أن يطبق على فريسته

وسمع أقدام الكولونيل المهرولة داخل إحدى القاعات الواسعة المضاءة.. وما كاد ماجد يخطو داخلها حتى طار خنجر حاد في الهواء، ثم ارتشق في صدر ماجد.. مكان قلبه تماما !.

وحدق ماجد في الكولونيل لحظة بعينين واسعتين عن آخرهما.. ثم تهاوى في مدخل القاعة والخنجر مرتشق في صدره.

وصرخ الكولونيل في سعادة بالغة، واختطف بندقية عتيقة من جدار القاعة مغمغما في صوت مجنون : كنت أعرف أنني سأقتله.. فلا يمكن لإنسان أن يتحداني وينجو.

ولوح بيده في الهواء بصوت حاد سوف أعيد تكوين فريقي الجهنمي مرة ثانية ما دمت لا أزال حيا.. وسوف يساعدني أصدقائي مرة أخرى كما ساعدوني المرة السابقة.. وسيعود كل شيء كما كان وأفضل.

واقترب من ماجد الممدد على الأرض وصوب بيده

المسيمه موهة بندقيته إلى رأس عريمه وهو يقول ساخراً : هذه هي هديتي الأخيرة لك إن كانت لك بقية من حياة أيها الشيطان، فإنه لا يؤمن لك جانب حتى لو ارتشقت عشر خناجر في صدرك.

ولكن ماجد تحرك في اللحظة التي انطلقت فيها الرصاصة، فتدحرج على الأرض، وبقفزة واحدة صار خلف الكولونيل فأصق على رقبته وضغط عليها في عنف قائلا : أنت على حق فيما قلته منذ لحظة.

وصرخ الكولونيل في صوت متحشرج مذهول لقد استقرت سكينتي في قلبك منذ لحظة فكيف نجوت من الموت أيها الشيطان ؟.

فانتزع ماجد قميصه فظهر تحته قطعة عريضة من الصلب تغطي صدره بأكمله، وقال ساخرا : إنني لم آت بسلاح حقاً إلى هذا المكان.. ولكن هذا لم يكن يمنع أن أتخذ احتياطاتي.

وشدد ضغطه على رقبة الكولونيل قائلا والآن سأرسلك مشحوناً في طرد كالحيوانات إلى الشرطة البريطانية لتكشف

ها أسر, مهتك القدره أيها الوغد، وهوية أصدقائك الأوغاد الذين ساعدوك في كل أعمالك

ولكن الكولونيل صرخ في وحشية مستحيل مستحيل. إن الموت أهون عندي.

والتقط شيئاً من جيبه دسه في فمه قبل أن يتمكن ماجد من منعه أو يدرك حقيقة ما فعله

وانتفض الكولونيل لحظة في ارتعاشة أخيرة، وجحظت عيناه وازرق وجهه، ثم سقط على الأرض وقد تدفع الزبد من فمه. وتقلص جسده في ارتعاشات حادة.. ثم سكن الجسد الممدد على الأرض وغادرته الحياة بعد لحظة. وتحسس ماجد نبضه فاكتشف أن الكولونيل.. فارق الحياة متأثراً بجرعة من سم « السيانيد » التي كان يحتفظ بها للطوارئ.. والذي ترك آثاراً واضحة فوق وجه وجسد الكولونيل.

كان مثل وحوش الغابة.. يفضل الموت على الأسر

ونهض ماجد وهو يلهث.. وشعر أنه أدى ما عليه من واجب. وأن روح رقم (١١٣) ترقد في ارتياح في

قبرها الأخير.. مع أرواح كل من قتلهم الكولونيل سيرجي ورجاله غدراً وغيلة..

وغادر ماجد القلعة.. ثم توقف واستدار صوبها.. ليلقي عليها نظرة أخيرة..

كانت قلعة شؤم حقا على كل من سكنها.. وكانت تحمل لهم الموت في النهاية.. ولكن من سكنها أخيراً مع رجاله الأوغاد كانوا يستحقون الموت على كل حال.. وقد جاءهم الموت عندما اعترض رجل لا مثيل له عملياتهم القذرة..

كان هو رجل المهام الصعبة !!..

وسار ماجد مبتعدا وسط الظلام.. وهو يشعر بأنه أدى واجبه على أكمل وجه.

* * *

الفهرس

العملية القادمة :

المتوحشة

حسناء لا مثيل لها في جمالها .. وفي توحشها أيضاً .. امرأة دموية لا قلب لها .. لا تجيد غير صناعة وحيدة .. وهي سفك الدماء ..

ويجد رجل المهام الصعبة نفسه في موقف غريب .. حيث المطلوب منه مطاردة واقتناص تلك المتوحشة ..

ولكنه بدلاً من ذلك يسقط في قبضتها. فماذا سيكون مصيره ؟.

هذه العملية :

تـأليف : مَجـدي صَـابر

الفريق الجهنمي

فجأة يتم اغتيال عدد من رجال المخابرات العرب السابقين في العواصم الأوروبية.. ويقوم بتلك العمليات القذرة فريق جهنمي مكّون من أعتى المرتزقة في العالم..

ويدور الصراع بين الفريق الجهنمي ورجل المهام الصعبة داخل قلعة عجيبة غريبة يطلق عليها قلعة اللورد السفاح..

فكيف سينتهي ذلك الصراع ؟.

دار الجيل
بيروت


تحيا مصر


BLUE BIRD
Scan By : M.Raafat & Rabab